خُلُق الرحمة

في ضوء القرآن الكريم

والسنة النبوية الشريفة

إعداد

د / مريم عبد الحميد محمد إبراهيم

الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

فرع البنات بالقاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى، المختص بالملك الأعز الأحمى، الحمـــد لله لا يأتى بالحسنات إلا هو، ولا يجيب الدعوات، ويقيل العثرات ويستر العورات سواه، وسع كل شيء رحمة وعلما، فهو تعالى أرحم من استرحم، وأكرم من قصد، وأرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأشد فرحًا بتوبة التائب من الفاقد لراحلتــه التـــى عليهـــا طعامه وشرابه فى الأرض المهلكة إذا يئس من الحياة ثم وجدها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبى الرحمة للعالمين قال تعـــالى ﴿ **وَمَـــا أَرْسَـــلْنَاكَ إِلا رَحْمَـــةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (١) فكانت حياته ﷺ رحمة، ومماته ﷺ رحمة كما قـــال ﷺ " إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطًا وسلفًا " (٢)، وصـــلى الله علـــى آلـــه الطيبين، والسلام على صحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

أما بعـــــد

فإن الأخلاق عنوان الإسلام ومظهر الإيمان ودليل الإحـــسان، وهـــى مـــن الأمور الثلاثة التى بنى عليها الإسلام وهى: العقيـــدة، والـــشريعة والأخـــــلاق، وأصول الأخلاق كثيرة ومتعددة ومنها خلق الرحمة موضوع البحـــث، وقد قسمت بحثى إلى بابين وخاتمة.

الباب الأول: الأخلاق فى الإسلام ويشتمل على:

الفصل الأول: تعريف الأخلاق.

الفصل الثانى: الوسائل التى تساعد فى تهذيب الأخلاق.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(٢) مسلم . كتاب الفضائل . باب إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها جـــ٤صـــ١٧٩١ ، ١٧٩٢ .

الفصل الثالث: ما جاء فى فضل حسن الخلق فى القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ.

الفصل الرابع: علامات حسن الخلق وأهم سمات وخصائص الأخلاق فى الإسلام.

الباب الثانى: الرحمة فى الإسلام ويشتمل على:

الفصل الأول: تعريف الرحمة لغة واصطلاحًا.

الفصل الثانى: رحمة الله تعالى بعباده.

الفصل الثالث: رحمة رسول الله ﷺ.

الفصل الرابع: قسوة القلب.

الفصل الخامس: الرحمة مع غير المسلمين من منظور إسلامى.

الفصل السادس: شهادات من غير المسلمين بعظمة رحمة الإسلام.

الخاتمة: وقد بينت فيها أهم ما جاء بالبحث فى أهمية بيان حقيقة الرحمة المطالب بها كل مسلم ومسلمة وارتباط هذا الخلق الكريم بشخصية المسلم وأثره على المجتمع الإسلامى وعلى علاقة المسلم بغيره من أصحاب الأديان الأخرى والملل المختلفة.

الفهارس وتشتمل على:

١ ــ فهرس المصادر والمراجع.

٢ ــ فهرس الموضوعات.

وأدعو المولى عز وجل أن يوفقنى فى عرض هذا الموضوع الهام والجدير بالدراسة واستحضار ما فيه من سمو، ورقى، وحضارة غير مسبوقة فى علاقات البشر بعضهم ببعض، ولا غرابة فى ذلك فالبيان والشرح والعرض هو بالرجوع إلى ما جاء فى كتاب الله عز وجل وإلى سنة نبيه محمد ﷺ وإلى ما كان عليه السلف الصالح.

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم.

البـاب الأول

الأخلاق فى الإسلام

الفصل الأول
تعريف الأخلاق

تعريف الأخلاق:

تعريف الأخلاق في اللغة: الأخلاق مفردها خُلُق والخُلُق: هــو الــدين والطبــع والسجية، وحقيقته: أنه وصف لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفــسه، وأوصــافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهمــا أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثــر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة) [1].

وقيــل الخُلــق: الشكل والطبع والنفس والمروءة والسلوك، وتطلق على الخير والفضيلة والواجب، ويراد به الصورة الباطنة للإنسان.

والخَلُوق: الطِّيب، والخَلاَق: النصيب، وخَلِق: بلى وفنى، وخَلْق: يكــون لمــا يدرك بالبصر، وخُلق: لما يدرك بالبصيرة) [2].

وذكر الإمام الزمخشري: الخلق بمعنى التقدير) [3].

تعريف الأخلاق في الاصطلاح:

عرف الإمام الغزالي الخلق بأنه: هيئة في النفس راســخة عنهــا تــصدر

(١) لسان العرب جــ٢صــ ١٢٤٥ .

(٢) خلق المؤمن د/ مصطفى مراد صــ٤٨٦ .

(٣) أساس البلاغة للزمخشري صــ١١٩ .

الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإذا كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعًا، سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا [(١)].

وعرفه ابن مسكويه بأنه: حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رؤية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيًا: من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدريب وربما يكون مبدؤه الفكر ثم يستمر عليها أولاً فأولاً حتى يصير خلقًا) [(٢)].

(١) إحياء علوم الدين للغزالي جـ٣صـ ٥٨ .

(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه صـ٤١ .

الفصل الثاني

الوسائل التي تساعد في تهذيب الأخلاق

خلق الله تعالى الإنسان بالفطرة السليمة السوية ولكن مع مـــرور مراحـــل التكوين والنمو الشخصي لكل إنسان، قد تتغير هذه الفطرة السليمة، وهنا تحتاج إلى وسائل وأدوات للعودة بها إلى ما خلقت عليه من الفطرة السليمة، والإنسان خلق وقد ركب معه بعض الصفات التي فطر عليها، فهي ليست من عند نفسه، بل هي منحة ومنَّة من الله تعالى، وعليه فهو يحتاج إلى إكتساب بعض الصفات الأخرى، ليكمل فيه الخلق الحسن الجميل الذي به يرضى عنه المولى عز وجل، ولا يكون للمـــسلم هذا القرب والرضى من الله عز وجل إلا بعد أن يتحلى بكل الأخلاق الكريمة التي دعا إليها المولى عز وجل ودعا إليها الرسول ﷺ.

ومن الوسائل التي تساعد فى تهذيب وتربية المسلم على الأخلاق الكريمـــة مـــا يلي:

١ ـــ الوعظ والإرشاد

من الوسائل المؤثرة والهامة في تربية النفس على حـــسن الخلـــق، وســـيلة الوعـــظ والنصح والإرشـــاد، ويكـــون ذلك ببيان حقيقة هـــذه العظة وأثرها على الإنسان كفرد، وأثرها على من حوله في مجتمعه.

<u>النصيحة فى القرآن الكريم:</u>

والقرآن الكريم في كثير من آياته يخاطب الناس بأسلوب النـــصيحة والـــوعظ والإرشاد، وأمر رسله وأنبيائه بهذا المنهج في الدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل قال

تعالى مخاطبًا رسوله محمد ﷺ: ﴿ **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ (١).وقال تعالى إخبارًا عن نوح عليه السلام: ﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ (٢).وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿**وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾ (٣)، وقال تعالى في قصة لقمان عليه السلام : ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ (٤).

النصيحة في السنة النبوية الشريفة:

وكان منهج النبي ﷺ كمنهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الله تعالى بالنصح والإرشاد * قال رسول الله ﷺ: " الدين: النصيحة قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (٥) * وما روي عن زياد بن علاقة قال سمعت جرير بن عبد الله يقول يوم مات المغيرة بن شعبة قام محمد فحمد الله وأثنى عليه وقال عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن، ثم قال استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو ثم قال: أما بعد فإني أتيت النبي ﷺ قلت: أبايعك على الإسلام فشرط عليَّ والنصح لكل مسلم، فبايعته على هذا ورب هذا المسجد إني لناصح لكم) (٦).

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٦٢ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٦٨ .

(٤) سورة لقمان الآية ١٣ .

(٥) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة جـ١صـ٧٤ .

(٦) البخاري كتاب الإيمان. باب قول النبيﷺ الدين النصيحة جـ١صـ٢١.

وكان رسول اللهﷺ لا يدع مناسبة ملائمة لتوجيه نصيحة أو تعليم أدب من آداب الإسلام، أو خلق من أخلاقه دون أن يوجه فيها المسلمين، ويبين لهم، ويعلمهم أخلاق دينهم، * روي البخاري عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحيفة، فقال لي رسول الله ﷺ يا غلام سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك " [1]. * وكان ﷺ حريص على تربية الصغار وتعلمهم، وكان ﷺ يأمر أولياء الأمور أن يربوا صغارهم على آداب الإسلام، وأخلاقه، وشرعه، بأسلوب النصح والإرشاد والتربية مع الحزم برفق، * روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال قال ﷺ: " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع " [2].

ومما سبق يتبين لنا أهمية الدعوة إلى حسن الخلق بالوعظ والإرشاد، ولكن في نفس الأمر يجب التنبيه على من يرشد وينصح ويوجه أن يطبق ما يقول على نفسه قبل أن ينصح به الآخرين، * فالوعظ والإرشاد الذي يصدر مما لا يفعل ما يقول لا يكون له صدى أو استجابة بل يصل أمره إلى العذاب الشديد قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ [3] واستنكر الله تعالى هذا الخلق من اليهود أشد الاستنكار قال تعالى: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ**

(١) مسلم . كتاب الأشربة . باب آداب الطعام والشراب جـ٣صـ١٥٩٩ .

(٢) أبو داود كتاب الصلاة. باب متى يؤمر الغلام بالصلاة جـ٢صـ١١٤.

(٣) سورة الصف الآيتان ٣ ، ٤ .

تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [١]. قال الميداني: " هذا التباين بين ما يدعو الإنسان إليه من فضائل وبين ما يعمله في ذات نفسه ويمارسه من سلوك تباين يتنافى مع الفضيلة الخلقية ؛ لأن هذا الإنسان إما أن يكون مؤمنًا بما يدعو إليه أو غير مؤمن،فإن كان غير مؤمن بما يدعو إليه، فهو كاذب مراءٍ منافق، قد اتخذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صناعة من الصناعات، يستدر منها مالاً أو جاهاً أو أي عرض من أعراض الدنيا لنفسه، وإن كان مؤمنًا بما يدعو إليه من خير، فهو إذن عالم أحمق لا عقل عنده،إذ يعرف الخير وينحرف عنه، ويعرف الشر وينغمس فيه، ولا يكون هذا فى الإنسان إلا ثمرة إنهيار أخلاقي في نفسه) [٢].

٢ ـ القدوة الحسنة

القدوة في التربية والتوجيه من الوسائل الهامة في تهذيب وتحسين الأخلاق، وذلك لأن كل شخص له مربي، قد يكون الأب أو تكون الأم أو الأستاذ، وهذا المربي هو المثل الأعلى والقدوة لمن يربيه فإذا كان المربي صالحًا كان من يربيه، مثله فالأب إذا كان صالحًا تقيًا أمينًا، نجد أبناءه يسيرون على نهجه، وكذلك العكس إذا كان فاسدًا محبًا للشهوات، بعيدًا عن الله تعالى نجد أبناءه كذلك، وهناك من الناس من لا يستجيب أو يستمع إلى النصح والإرشاد المباشر، ولكن يؤثر فيهم الرؤية والمشاهدة للعمل الصالح الحسن أكثر.

وقد ذكر لنا المولى عز وجل في كتابه أعظم وأفضل قدوة في حياة المسلمين ألا وهو النبي ﷺ الذي أرسله لنا قدوةً ومعلمًا ومربيًا فكان ﷺ خير قدوة

(١) سورة البقرة الآية : ٤٣ .

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني جـ٢صـ٦٥٦ ،٦٥٧ بتصرف .

وخير أسوة قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [1] كان ﷺ القدوة الحسنة للمسلمين في جميع مجالات الحياة فهو الأسوة الحسنة والعظيمة في مجال العبادة * روي مسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: " كان رسول الله ﷺ يقوم الليل حتى تتورم قدماه ولما قيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا " [2]، وكان ﷺ القدوة الحسنة كذلك في المعاملات وفي الأخلاق ولا عجب في ذلك فقد كان ﷺ خلقه القرآن سألت السيدة عائشة رضي الله عنها كيف كان خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلق رسول الله ﷺ القرآن) [3].

وتبدأ القدوة من الوالدين، فالطفل ينشأ بينهما ويقلدهما في كل ما يفعلانه ويقولونه، ولذا وجب الحرص منهما في كل ما يصدر عنهما من قول أو فعل: " ووجب عليهما أن يقوما بتوجيه الطفل توجيهًا مستقيمًا فلا يستخدمان القسوة والغلظة ولا اللين الشديد والتسيب، بل يجب أن يكونا في لين مع الحزم، ويعاوناه على تفهم دينه، ثم يأتي بعد ذلك دور المدرسة، ويعتبر المدرس القدوة الحسنة أمام التلاميذ، فهو الذي يقومهم ويؤدبهم ويعلمهم، وقد كفلت له طبيعة وظيفته أن يكون قيمًا عليهم موجهًا لهم، ومن ثم وجب أن يقوم بهذا الدور الخطير بأمانة وإخلاص، وقد أصبح للتلاميذ قدوة، فإذا تخلى عن رسالته أفسد جيلاً وخان الأمانة) [4].

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٢) مسلم . كتاب صفة القيامة والجنة والنار . باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة جـ٤صـ ٢١٧٢ .

(٣) مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض جـ١صـ ٥١٣ .

(٤) الأخلاق الإسلامية حسن الشرقاوي صـ١١٧ .

٣ ـــ المجاهدة والرياضة

هناك أسباب كثيرة تنال بها الأخلاق الحسنة، من هذه الأسباب والوسـائل التي تروض النفس وتصل بها إلى أحسن الأخلاق المجاهدة والرياضة.

ومعنى المجاهدة والرياضة: محاولة اكتساب الصفات الحميدة حتى وإن لم توجد فى النفس، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: هل الخلق الحسن فطري أم مكتسب ؟

وقد أجاب الإمام الغزالي عن هذا السؤال فقال: " إن حسن الخلق يرجع إلـى اعتدال قوة العقل، وكمال الحكمة، وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضًا. والاعتدال يحصل على وجهين:

أحدهما: بجود إلهي، وكمال نظري، بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقـل، حسن الخلق، وقد كفى سلطان الشهوة والغضب، بل خلقتا معتدلين منقاديـن للعقل والشرع، فيصير عالمًا بغير تعلم، ومؤدبًا بغير مؤدبًا.

الوجه الثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة،أي: حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب، فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود، فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجود وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفًا مجاهدًا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعًا له ويتيسر عليـه، فيـصير بـه جوادًا، وهكذا جميع الأخلاق الحسنة المحمودة شرعًا تحصل بهذا الطريق (طريـق الرياضة) ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العـادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وما لم تواظب عليه مواظبة من يـشتاق إلى الأفعال الجميلة، ويتنعم بها، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها، فإذا عرفنـا أن

هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعًا انتهاء) [1].

٤ ــ صحبة الأخيار والصالحين

الصحبة الصالحة، ومجالسة الأخيار لها أثر عظيم في توجيه النفس وتهذيبها، واكتساب العادات الحسنة ممن يجالسهم، والإنسان مفطور على الأنس بالناس ومخالطتهم، وهذه الفطرة تجعل الشخص يميل إلى بعض الناس، خاصة من يحبهم ويحب مجالستهم والاستماع إليهم، * يقول رسول الله ﷺ: (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)[2]، * والإسلام حث على المصاحبة والمجالسة في الله لما في هذه المجالسة من نشر المودة والرحمة والمحبة في المجتمع الإسلامي، والمؤمن لا يعتزل الناس ولا يعيش بعيدًا عنهم، إلا إذا كان في مخالطتهم فتنة أو وقوع محرم أو ترك واجب، * قال ﷺ: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) [3] * ومصاحبة الصالحين وسيلة من الوسائل الناجحة في تهذيب الأخلاق والسمو بالنفس إلى أعلى مرتبة، ومصاحبة الأخيار دواء للقلب ونجاح في

(١) إحياء علوم الدين للغزالي جـ٣ صـ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) البخاري . كتاب الأنبياء . باب الأرواح جنود مجندة جـ٢صـ ٢٢٩ ، وأخرجه مسلم بلفظ "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" كتاب البر والصلة باب الأرواح جنود مجندة جـ٤صـ٢٠٣١.

(٣) مسند أحمد جـ٩صـ٦٤ ، ٦٥ والحديث إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين ،وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد رقم ٣٨٨ وأورده الحافظ ابن حجر فى الفتح جـ١٠صـ٥١٢ عن ابن ماجه وحسن إسناده والبيهقى فى السنن جـ١٠صـ٨٩ ،وأخرجه ابن أبى شيبة جـ٨صـ٧٥٣. ينظر : الموسوعة الحديثية مسند أحمد تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى .

الدنيا وفوز في الآخرة، ومصادقة الكافرين والفاسقين لا يكون وراءها إلا الخسارة في الدنيا والعذاب في الآخرة قال تعالى: ﴿ **الأَخِلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ** ﴾ (١) ويتأثر المحب بمن يحبهم في أخلاقهم وفي عاداتهم ويقال: يعرف دين الرجل وخلقه وصلاحه بصديقه، والمرء على منهاج صاحبه ولهذا حث النبي ﷺ على التدقيق في هذا الصديق ومجالسته لما له من الأثر العظيم على شخصية المسلم * قال ﷺ: " الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) (٢). وروي البخاري عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: " إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير، أما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة) (٣). هذا الحديث الشريف يقصد منه الترغيب فى مجالسة أهل الصلاح والخير والبعد عن جلساء السوء، وضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً لكل منهما، فمثل الجليس الصالح بحامل المسك، ومثل الجليس السوء بنافخ الكير، وهو الحداد الذي ينفخ في كيره فالجليس الصالح ينفع جليسه في كل حال فهو كحامل المسك، وإذا لم تشتر منه نالك من مجالسته ريح طيبة، وهذا كمثل الذي يجلس مع الصالحين وأهل العلم والتقوى، فإما أن تسألهم وتأخذ من علمهم أو تسألهم المشورة والنصيحة، أو يقتدي بهم في أفعالهم وتصرفاتهم فيكتسب منهم كل خلق جميل، وحسن، فهو في مجالستهم على أي حال على خير كبير، أما جليس السوء فهو كالحداد الذي ينفخ في ناره ليحمي الحديد فمجالستهم فيها ضرر على أي حال، فإما أن يتطاير الشرر من النار عليك فيحرق الثياب، وإذا لم

---

(١) سورة الزخرف آية ٦٧ .

(٢) جامع الترمذي كتاب الزهد باب ٤٥ صـ٣٩٠ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

(٣) البخاري . كتاب الذبائح . باب المسك جـ٣صـ ٣١٤ .

يحـــرق الثياب فلابـــد وأن تشم وأنت بجانبه ريحًا منتنة مؤذية وكذلك من يصاحب أصدقاء السوء والشر والمعصية فلابـــد وأن يلحق به ضرر منهم، فهـــو إمـــا أن يتبعهم فيما يفعلون ويعمل مثل عملهم وإما أن تلحقـــه الـــسيرة الـــسيئة والـــسمعة القبيـــحة نتيجة لمجالسته لهـــم، فهـــو على خطـــر فـــي أي الأحـــوال كـــان، * ولأهميـــة الصحبة في حياة المسلم يأمرنا رسول الله ﷺ بمصاحبة أهـــل الإيمـــان والتقوى * قال ﷺ: (لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي) [1] ووضع العلماء شروطًا للمصاحبة والمجالسة حتى تكونا نافعة ومفيدة لـــصاحبها: **الـــشرط الأول:** أن تكونا في الله وابتغاء مرضاته لا لمجرد مصالح دنيوية ماديـــة تقـــصد. **الشرط الثاني:** أن لا تشتمل أيٌّ منهما على معصية لله تعالى. **الشرط الثالـــث:** أن يتناصح الأصحاب والجلساء فيما بينهم، ويتآمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر. **الشرط الرابع:** أن يتعاون الأصحاب والجلساء فيما بينهم على البـــر والتقـــوى ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان ومعصية الرسولﷺ. **الشرط الخامس:** أن لا تجـــر أيُ منهما إلى مناصرة وتأييد بالباطل ضد أصحاب الحـــق، تأثرًا بعصبية المصاحبة أو المجالسة) [2]. ويقول الناس في حكمهم: الصاحب ساحب، فإن كان صالحًا سحب صاحبه إلى الخير والصلاح، وإن كان سيئًا فاسدًا خبيثًا سحب صاحبه إلى موقـــع السوء والفساد والخبث.

وجاء في الحكم لابن عطاء السكندري " لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله) وذلك لعدم علو همته، فالطبع سراق كما قال القائل:

بني اجتنب كل ذي بدعة ** ولا تصحبًا من بها يوصف

(١) جامع الترمذي كتاب الزهد باب ما جاء فى صحبة المؤمن صـــ٣٩٢ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفـــه إلا من هذا الوجه ، وقال النووي : إسناده لا بأس به .

(٢) هذه الشروط ذكـــرها الميداني في الأخلاق الإسلامية وأسسها جـــ٢صـــ١٩٦ .

فيسرق طبـــعك طبـــعه ** وأنت بذلك لا تعرف) [١]

قال الشاعـــر:

عـــن المـــرء لا تسأل وسل عـــن قرينه

فكـــل قريـــن بالمقـــارن يقتـــــدي

وقـــال آخـــر:

لا تصحب أخـــا الجهـــل وإيـــاك وإيـــاه

فكم من جاهل أردى حليمًا حين آخاه

يقاس المرءُ بالمرء إذا ما المرء ما شاه

وللشيء مـــن الشيء مقاييس وأشباه

*وحرص الصحابـــة رضي الله تعالى عنهم على حث الناس بالنصح بحـــسن الصحبة، قـــال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيمـــا رواه سعيد بن المسيب، قال: عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء، وعُدَّة في البلاء، وضع أمر أخيـــك على أحسنه حتى يجيئك مـــا يغلبـــك عنـــه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين من القـــوم ولا أميـــن إلا مـــن خشي الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى. وقال جعفر الصادق رضي الله عنـــه: لا تـــصحب خمسة: الكذاب، والأحمق، والبخيل، والجبان، والفاسق) [٢].

قال سيدنا على رضى الله عنه لابنه الحسن رضى الله عنه: يا بنى احفظ عنـــي أربعًا وأربعًا لا يضرك ما عملت معهن: أغنى الغنى العقل. وأكبر الفقر الحمـــق.

---

(١) الحكم لابن عطاء السكندري جـــ١صـــ١٦١ الحكمة الثالثة والأربعون .

(٢) خلق المؤمن د/ مصطفى مراد صـــ ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

وأوحش الوحشة العجب (١). وأكرم الحسب حسن الخلق. يا بنى إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه. وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه. وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب) (٢).

٥ ــ الثواب والعقاب

الثواب هو الجزاء على العمل، قال الأصفهاني: الثواب والعقاب: ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله فيسمى الجزاء ثوابًا تصورًا أنه هو، ألا ترى كيف جعل الله تعالى الجزاء نفس الفعل في قوله تعالى: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**﴾ (٣) ولم يقل جزاءه، والثواب يقال في الخير والشر لكن الأكثر المتعارف في الخير، وعلى هذا قوله عز وجل: ﴿ **ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ*فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ**﴾ (٤) وكذلك المثوبة في قوله تعالى: ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ**﴾ (٥) فإن ذلك استعارة في الشر، استعارة البشارة فيه. قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّه**﴾ (٦) والإثابة تستعمل في المحبوب قال تعالى: ﴿ **فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ (٧)، وقد قيل ذلك في المكروه نحو: ﴿ **فَأَثَابَكُمْ غَمَّاً بِغَمٍّ** ﴾ (٨) على

(١) لأن من أعجب بنفسه مقته الناس فلا يوجد له أنيس فهو فى وحشة دائمًا

(٢) نهج البلاغة من كلام سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه شرح الأستاذ الشيخ محمد عبده جـ٤صـ١١ .

(٣) سورة الزلزلة الآية ٧ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٤٨ .

(٥) سورة المائدة الآية ٦٠ .

(٦) سورة البقرة الآية ١٠٣ .

(٧) سورة المائدة الآية ١٨٥ .

(٨) سورة آل عمران الآية ١٥٣ .

الاستعارة.

أما معنى العقاب فالبيان للأصفهاني أيضًا: (والعقب والعقبى يختصان بالثواب نحو قوله تعالى: ﴿**خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾ (١). والعاقبة أطلاقها يختص بالثواب نحو: ﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (٢) وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة نحو ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا**﴾ (٣) والعقوبة والمعاقبة والعقاب يختص بالعذاب قال تعالى: ﴿**فَحَقَّ عِقَابِ**﴾ (٤) ﴿**شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (٥) و﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ**﴾ (٦) (٧).

بعد هذا البيان لمعنى كلمات الثواب والعقاب نقول أن الثواب والعقاب وسيلتان من وسائل تهذيب النفس وتربية الإنسان، فالثواب له الأثر الكبير في الفعل والحرص على التحلي بالأخلاق الحسنة وكذلك العقاب له الأثر الكبير في التخلي عن الأفعال القبيح.

---

(١) سورة الكهف الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٨٤ .

(٣) سورة الروم الآية ١٠ .

(٤) سورة ص الآية ١٤ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٩٦ .

(٦) سورة الحج الآية ٦٠ .

(٧) المفردات في غريب القرآن صـ ٨٣، ٨٤، ٣٤٠ .

الفصل الثالث
ما جاء في فضل حسن الخلق
في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ

١ ـ آيات في فضل حسن الخلق:

علم الأخلاق واحد من العلوم الإسلامية التي تقوم في أساسها على ما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، والأخلاق الإسلامية لها علاقة وثيقة بالمسلم في جميع أموره، وأهمها ما يربطه بخالقه عز وجل فالأخلاق لها صلة بالعقيدة والعبادات والمعاملات وفي كل حياة المسلم.

فالعقيدة السليمة تقوي وتزيد بالأخلاق الحسنة والعكس صحيح، وبالأخلاق يُعلم المؤمن من المنافق، ولأهمية حسن الخلق في حياة المسلمين اشتمل القرآن الكريم على الآيات الكثيرة التي تحث على حسن الخلق قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (١)، هذا الوصف من المولى عز وجل لنبيه سيدنا محمد ﷺ مادحًا إياه بهذا الوصف لأبلغ دليل على مكانة وفضل حسن الخلق، وهذا الوصف مما خصَّ به المولى عز وجل النبي ﷺ فالمولى عز وجل لم يصف أحدًا من الأنبياء بالخلق العظيم وإنما وصفهم بأوصاف عدة مثل رشيد صالح، حليم،..) فالنبي ﷺ جامع لكل خلق عظيم.

يقول الإمام المراغي: يصف المولى عز وجل الرسول الكريم
بحسن الخلق ورفقه بالناس امتثالاً لأمره قال تعالى: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ**

(١) سورة القلم الآية ٤ .

بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَـاهِلِينَ﴾ (1).قال تعالى محذرًا المسلم أن يصاب بمـرض الرياء فيفسد عليـه عمله. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُـواْ صَـدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ﴾** (2)، وقـال تعـالى: ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾** (3) فثمرة عبادة الصلاة البعد عن المنكرات والمعاصي " فالصلاة لا تكون محمودة إلا إذا هـذبت الـنفس الإنسانية وطهرتها ونقت الضمير من أدران الحقد والحسد والإيذاء وجعلت صاحبها ربانيًا لا يعمل إلا لله تعالى، ويحب خلق الله تعالى، فلا يبغض ولا يحسد، ويعمـل لإصلاح الناس، ولا يظهر منه ما يضر الجماعة أو يفـسد المجتمـع " (4). وقـال تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَـا﴾** (5) * الزكـاة شـرعت تطهيرًا للمزكي من الذنوب والآثام ولتكون عونًا للفقراء على فقـرهم، ومـشاركة للجماعة المسلمة في بناء وتقوية نفسها، وكذلك ثمرة الصوم الحقيقية للصائم تقوى الله تعالى والتقوى معناها: كف النفس عن المعاصي والتحلي بالأخلاق الفاضلة قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** (6).

والصوم فيه بث الرحمة والعطف على الضعيف والمسكين والقرب من الضعفاء في مشاعرهم وإحساسهم، وقد حث النبي ﷺ على مساعدة الفقراء والضعفاء وودهم،

---

(1) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .

(2) سورة البقرة الآية ٢٦٤ .

(3) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .

(4) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام صـ ٩٠ ، ٩١ .

(5) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

(6) سورة البقرة الآية ١٨٣ .

* عن أبى الدرداء قال: سمعت النبى ﷺ يقول: أبْغُوني ضعفاءكم، فإنما ترزقــون وتنصرون بضعفائكم " [١].* وقال ﷺ: "اللهم إنى أحرِّج [٢] حق الضعيفين: اليتــيم والمرأة) [٣].

* وروي أن النبي ﷺ كـــان أجود ما يكون في رمضان، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكــون فى شهر رمضان) [٤].

والحج لا يكون مقبولاً بإذن الله تعالى إلا إذا ابتعد الحاج عــن ســوء الخلــق والفحش من القــول أثناء تأدية الفريضة قال تعالى: ﴿ **فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ [٥].

والأحاديث الواردة عن رســول اللهﷺ في فضل العبادات فى تهــذيب الخلــق كثيرة وفي مواطن عدة أذكر منها: قال ﷺ عندما سمع أصواتًا مرتفعة للمــصلين: "إن المصلي يناجي ربه عز وجل، فلينظر أحدكم بما يناجي ربه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة)[٦]. وقال ﷺ: (إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ويصخب، فإن سابه احد وقاتله فليقل إني صائم) [٧]، وقال ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل

(١) جامــع الترمــذى كتــاب الجهاد بــاب ما جاء فى الاستفتاح بصعاليك المسلمين صــ٢٩٣ ، ٢٩٤ وقال أبــو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أُحرج : أُلحق الحَرَج ــ وهو الإثم ــ بمن ضيع حقهما ، واحذر من ذلك تحذيرًا شديدًا .

(٣) أخرجه ابن ماجه كتاب الأدب باب حق اليتيم جــ٢صــ٣٩٧ .

(٤) مسلم كتاب الفضائل باب كان ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة جــ٤صــ١٨٠٣ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(٦) مسند أحمد جــ٩صــ ٢٥١ رواه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والحديث صحيح .

(٧) البخاري كتاب الصوم . باب فضل الصوم جــ١صــ ٣٢٤ .

به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) [١].

هذه بعض من أحاديث النبي ﷺ التي تبين أن العبادات لابد وأن يكون معهـا حسن الخلق.

٢ ـ الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في فضل حسن الخلق:

قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأمـور، ويكره سفاسفها) [٢].

ويدعو النبي ﷺ ربه أن يحسن خلقه، وهو الذي مدحه المولى عز وجل وقال تعالى واصفاً أخلاقه: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ فيسأل ربه ويدعو: *(اللهم كما أحسنت خَلقي فحسن خُلقي) [٣] فهذا الحديث الشريف تعليم لأمة النبـي ﷺ أن يـسألوا الله حسن الخلق وكمالها. وكان صلوات الله ﷺ يستعيذ من سيئ الأخلاق وسيئ الطباع والعادات * قال ﷺ: "اللهم إني أعوذ بـك مـن منكـرات الأخـلاق والأعمـال والأهواء"[٤].

* عـن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت قـال رسول الله ﷺ "مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) [٥]، *ومـن وصايا رسـول الله ﷺ التي أوصى بهـا أصحابه رضي الله عنهم أجمعيـن والبلاغ لأمتـه قـال ﷺ: (اتـق

(١) البخاري .كتاب الصوم . باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم جـ١صـ ٣٢٦ .

(٢) أخرجـه الطبراني ، الأوسط حديـث رقـم ٨٩٤ ، وابـن عساكر جـ١١/٥٠/ ٢ إسناده لا بأس به ورجالـه كلهم ثقات .انظر السلسلة الصحيحة المجلد الرابع صـ ١٦٧ ــ ١٦٩ .

(٣) مسند أحمد جـ٤٠صـ٤٥٧ حديث صحيح رجاله ثقات .

(٤) الجامع الصحيح للترمذي كتاب الدعوات باب ١٢٧ جـ٥صـ٥٣٦ ، وقال : حسن غريب .

(٥) جامع الترمـذى كتـاب البـر والصـلة بـاب مـا جـاء فـى حق الجوار صـ٣٢٦ ، وقـال أبو عيـسى: هـذا حديـث حسـن صحيـح .

الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق النـــاس بخلق حسن) (١).

* عــن أبى الدرداء رضى الله عنـــه قـــال: سمعت النبى ﷺ يقول ما مـــــن شىء يوضع فـــى الميــزان أثقــل مــن حسن الخلق وإن صاحــــب الخــــلق ليبـــلغ بـــه درجـــة صاحب الصوم والصلاة) (٢)، *وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه أراد سفرًا فقال: يا رسول الله أوصني، قال: " اعبد الله ولا تشرك به شيئًا قال يا نبى الله زدني، قال: إذا أسأت فأحسن قال يا رسول الله زدنى، قال: اســتقم وليحسن خلقك) (٣)، وقال ﷺ واصفًا المؤمن الحق: بأنه المؤمن الذي كمــل خلقــه وحسن معاشرته لأهله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رســول الله ﷺ: " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنُهُم خُلُقًا، وخيارُكُمْ خيارُكُم لنسائهم خُلُقًا) (٤).

وحســن الخلق جــزاء صاحبه وثمرته فـــي الدنيا. حب النـــاس

واحترامه والدعـــاء له، ولا يقتصر الجزاء في الدنيا فقط ولكن فـــي الآخـــرة يُثقِّل حسن الخلق ميـــزان العبد المؤمن ويكثر حسناته قال ﷺ: " ما من شيء أثقــل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله يبغض الفاحش البذيء) (٥).

والتحلي بالخلق الحسن يضمن للمسلم دخول الجنة قال ﷺ: (اضمنوا

لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم وأدوا

---

(١) جامع الترمذى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى معاشرة الناس صـــ٣٣٢ وقال أبو عيـــسى : حـــديث حـــسن صحيح .

(٢) جامع الترمذى كتـــاب البـــر والصلة بـــاب ما جاء فى حسن الخلق صـــ٣٣٤ وقال أبو عيسى : هـــذا حـــديث غريب من هذا الوجه .

(٣) أخرجه ابـــن حبان فـــي صحيحه فصل مـــن البر والإحسان جـــ١صـــ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٤) جامع الترمذى كتاب الرضاع باب ما جاء فى حق المرأة على زوجها صـــ٢٠٦ حديث حسن صحيح.

(٥) جامع الترمـــذى كتاب البـــر والصلة باب ما جـــاء فى حسن الخلق صـــ٣٣٤ قال أبو عيسى : حسن صحيح .

إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم) [(١)].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: "تقوى الله وحسن الخلق" وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: الفم والفرج" [(٢)].

هذه بعض من أحاديث النبي ﷺ في فضل حُسن الخلق واختم هذه الأحاديث بما روي عن النبي ﷺ قال: " إنما بُعثت لأُتمم صالح الأخلاق " [(٣)]. فقد قصر رسول الله ﷺ أهداف الرسالة المحمدية في هذا الحديث على الأخلاق وأنه جاء ليتمم البناء الأخلاقي وأنه ﷺ كما وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها (كان خلقه القرآن) [(٤)].

(١) مسند أحمد جـ٣٧ صـ٤١٧ الحديث حسن لغيره .

(٢) جامع الترمذى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى حسن الخلق صـ٣٣٤ قال : صحيح غريب ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه باب ذكر البيان بأن من أكثر ما يدخل الناس الجنة التقى وحسن الخلق جـ١ صـ٣٤٩ .

(٣) مسند أحمد جـ١٤ صـ٥١٣ حديث صحيح وإسناده قوى ، وأخرج البيهقى فى السنن الكبرى الحديث بلفظ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) كتاب الشهادات باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها جـ١٠صـ٥٦ ط دار الحديث. القاهرة .

(٤) مسلم . كتاب صلاة المسافرين جـ١صـ ٥١٢، ٥١٣ .

الفصل الرابع
علامات حسن الخلق
وأهم سمات وخصائص الأخلاق في الإسلام

علامات حسن الخلق:

لكل شيء في الحياة علامة تدل على وجوده، وحُسن الخلق لـــه مـــن الـــدلائل والعلامات ما يعرف الشخص أنه على درجة ما من حُسن الخلق، وهـــذه الـــدلائل والعلامات معرفتها هامة وضرورية، حتى يتحسس المرء إلى أي مدى وصل إلـــى الكمال من حُسن الخُلق.

وذكر كثير من العلماء بعض هذه العلامات، منهم الإمام الغزالـــي جـــاء فـــي إحيائه:

(علامات حُسن الخلق: ١ ــ قلة الخلاف. ٢ ــ حسن الإنـــصاف. ٣ ــ تـــرك طلب العثرات. ٤ ــ التماس المعذرة. ٥ ــ احتمال الأذى. ٦ ــ الرجوع بالملامة على النفس. ٧ ــ معرفة عيوب نفسه دون غيره. ٨ ــ طلاقـــة الوجـــه للـــصغير والكبير.٩ ــ لطف الكلام لمن دونه ومن فوقه) (١).

وقيل من علاماتها: أن يكون صاحبها كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًا وصـــولاً، صبورًا شكورًا، راضيًا حليمًا رفيقًا، عفيفًا شفيقًا، لا لعانًا ولا سبابًا ولا نمامًا، ولا مغتابًا، ولا عجولاً ولا حقودًا، ولا بخيلاً ولا حسودًا، بشاشًا، هشاشًا، يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله ويغضب في الله) (٢).

---

(١) الإحياء جـــ٣صـــ ٧٧.

(٢) روح الإسلام لمحمد عطية الإبراشي صـــ٩٩ .

سمات وخصائص الأخلاق في الإسلام:

ذكرنا في الفصل الثالث بعض ما ورد في القرآن الكريم من آيات تحث وتأمر بالتحلي بحسن الخلق، وكذلك أوردنا بعضًا من أحاديث النبي ﷺ التى تـدعو إلـى التحلي بالأخلاق الكريمة الحسنة وبالتأمل فيما ورد في المصدرين القرآن الكـريم والسنة النبوية الشريفة يتبين لنا أن للأخلاق الإسلامية خصائص ومميزات تعـرف بها عن سائر الأخلاق في الرسالات السماوية المحرفة كالتوراة والإنجيل، والأديان الوضعية، وتبلغ فيها درجة الكمال والتفوق وهذه الخصائص ثمان وهي:

الخصيصة الأولى: الربانية

من أهم ما يميز الأخلاق الإسلامية أنها ربانية المصدر فقد دعا المولى عز وجل عبـاده لمكارم الأخـلاق وأمرهم بها في غير آية من كتابه) [1].

ومما يدل على مكانة الأخلاق في الشريعة الإسلامية وأن لها مكانًا عاليًا ما ورد عن النبي ﷺ قوله:" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [2] فقد جعل ﷺ الأخلاق الهدف الأسمى للبعثة المحمدية وإحياء مكارم الأخلاق وتتميمًا لمحاسن الشيم.

الخصيصة الثانية: العالمية والشمول

ومن سمات هذه الأخلاق أنها تشمل المخلوقات كلها بشرًا وحيوانًا في كل زمان ومكان وحال، وتتضمن المسلم وغير المـسلم، الكبيـر والـصغير، الـذكر

(١) ينظر الفصل الثالث صـ١٨ ــ ٢٤ .

(٢) مسند أحمد جـ١٤صـ٥١٣ الحديث صحيح وهذا إسناد قوى ، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان فقد روى له مسلم متابعة وهو قوى الحديث (سند الحديث [حدثنا سعيد بن منصور قال : حدثنا عبد العزيز بن محمـد ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وأخرجه البيهقـي فى السنن الكبرى كتاب الشهادات باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها جـ١٠صـ٣٥٦ .

والأنثى، الغني والفقير، الحر والعبد، والأبيض والأسود، والعالم والجاهل والعـدو والحبيب، وحال الحرب وحال السلم، وحال القوة وحال الـضعف، يـأمر القـرآن الكريم بالعدل مع الأعداء قال تعالى: ﴿ **وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَـى أَلاَّ تَعْـدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ (١).

وأمر الله تعالى نبيه محمدًاﷺ بالعدل مع المخالفين والمعانـدين يقـول تعـالى: ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّـهُ مِـن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَـا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ (٢).

وهذا من محاسن الأخلاق كلها لا يخص به خلق دون خلق ولا مخلـوق دون مخلوق.

الخصيصة الثالثة: الإنسانية

إن جميع الصفات المأمور بها المسلم والخصال الحميدة المطلوبة منه ليست خاصة بالإنسان مع أخيه الإنسان بل تتضمن الحيوان وسائر المخلوقات.

قال تعالى مبلغًا عـن خاصية الرسالة المحمدية أنها للعالمين جميعًـا: ﴿ **وَمَـا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾(٣) وأخبرنا النبي ﷺ أن رجلاً دخـل الجنة لسقيه كلبًا عطشانًا، يقـول رسول الله ﷺ: " بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليـه العطـش، فوجد بئرًا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى مـن العطـش، فقال الرجل: لقد بلغ هـذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلـغ منـي فنـزل

(١) سورة المائدة الآية ٨ .

(٢) سورة الشورى الآية ١٥ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

البئر، فملأ خفه ماءاً، ثـم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفـر لــه " قالوا يا رسول الله، إن لنا فـي البهائم أجرًا فقال: في كـل كبــد رطبــة أجر)[1] وقال رسول الله ﷺ "جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنـده تـسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحدًا، فمن ذلك الجزء يتـراحم الخلـق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه) [2].

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة وأرسل فـي خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة) [3].

الخصيصة الرابعة: الوسطية

الإسلام دين الوسطية، وهو ما يميز الدين الإسلامي بكل تشريعاته في (العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق) عن سائر التشريعات قـال تعـالى: ﴿ **وَكَـذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَـهِيدًا**﴾ [4] والإسلام إذ يدعو إلى التحلي بالأخلاق الزكية إنما يرسم طريقًا وسطًا يغذي الروح، ويرضي القلب، ولا يطغى على الجسد، ويفتح مساحة واسعة لمن قهر نفسه، وطهر قلبه حتى بلغ الذروة بأن يدنو من ألأخلاق المثالية كالإيثار، والعفـو، والـسخاء، ويقف بالمقصر محدود الهمة عند الواجب والحق والمفروض ؛ لأن الناس يختلفون في الطباع والصفات والقدرات والاهتمامات، والإسلام ما جاء ليقضي على الجسد

(١) البخاري . كتاب المساقاة ، باب فضل سقي الماء جـ٢صـ ٥٣ .

(٢) البخاري . كتـاب الأدب ، بـاب جعل الله الرحمة فـي مائة جزء جـ٤صـ ٥١ .

(٣) البخاري . كتاب الرقاق ، باب الرجاء مع الخوف جـ٤صـ ١٢٤ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

أو يضعفه، ولا ليقبض الروح أو يكبتها، بل ليسمو بالروح، ويكف الجسد عن المبالغة فيما يصلحه.

الخصيصة الخامسة: الواقعية

ما يميز الأخلاق الإسلامية عن سائر الأخلاقيات الوضعية هي الواقعية، فليس في أخلاق المسلم خيالات، ولا أوهام، ولا مبالغات، بل جميع الأخلاق الإسلامية لها وقع محسوس على أرض الواقع، وفي حياة الأشخاص، والكون بأسره، ولو رجعنا إلى الأخلاقيات الموجودة في الحضارات القديمة، كالإغريق والرومان وغيرها من الحضارات القديمة لوجدنا الأخلاقيات فيها تعتمد على الجانب الروحى فقط والمبالغة في هذا الجانب، وعلى العكس من هذا نجد الحضارات الحديثة، جميع أخلاقيتها تقوم على إشباع الجانب الجسدي، والمادي دون مراعاة للجانب الروحي، فهما ما بين إفراط وتفريط في تلبية الحاجة الإنسانية الوسطية التي تخاطب العقل والروح والجسد.

الخصيصة السادسة: المثالية

الأخلاق في الإسلام تتميز عن غيرها بالمثالية، والمقصود بالمثالية هنا: المثالية التي لا مبالغة فيها، ولا تكون مبنية على ضعف أو جبن أو خنوع بل هي مثالية مبنية على الرحمة وعلى الإيثار وعلى الصبر والشجاعة وحب الخير للناس جميعًا فالإيثار خلق من أخلاق الإسلام قال تعالى: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ (١)، والمثالية واضحة في خلق العفو والصفح قال تعالى:

(١) سورة الحشر الآية ٩ .

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأمُورِ﴾ (٣).

الخصيصة السابعة: الجزاء

سبق وأن بينا أن الجزاء والعقاب وسيلة من وسائل تهذيب النفس، وقد جعلها القرآن الكريم منهجًا في بيانه، فجعل الإسلام الثواب الكبير والأجر العظيم في الدنيا والآخرة لمن كان حسن الأخلاق جميل الخصال يقول المولى عز وجل في وصف عباد الرحمن: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا* وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا* إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا* وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا* وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا* إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا* وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا* وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا* وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا* أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .

(٢) سورة النحل الآية ١٢٦ .

(٣) سورة الشورى الآية ٤٣ .

وَسَلامًا* خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (١)، **ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ* الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ* وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ* وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ* جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ* سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** (٢).

وفي المقابل فإن أكثر الحدود التي يعاقب عليها الشرع الإسلامي في الدنيا وجُلّ الكبائر التي عليها العذاب في الآخرة راجعة إلى سوء الخلق،عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " اتقوا دعوة المظلوم " وعنه قال رسول الله ﷺ " دعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماوات ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين) (٣).

الخصيصة الثامنة: الرقى والتقدم

إن بقاء الأمم وخلود الحضارات مبني على الأخلاق الفاضلة، والأخذ بالفضائل الزكية، وزوال الأمم، وفناء الحضارات راجع إلى فساد الأخلاق، وحذر النبي ﷺ من غياب الفضيلة في الأمة الإسلامية، وأن بدء انهيارها يكون بتفشي الأخلاق السيئة، ويدعو النبي ﷺ في كثير من أحاديثه على الأخذ بالأسباب فهي السبيل لتقدم الأمم مع توفيق المولى عز وجل، فالأمة الضعيفة لا يمكن أن تقود

(١) سورة الفرقان ٦٣ ــ ٧٦ .

(٢) سورة الرعد ١٩ ــ ٧٤ .

(٣) أخرجه ابن حبان فى صحيحه باب دعوة المظلوم تستجاب له لا محالة جـ٢صـ١١٩ .

العالم إلى الخير وكما قلنا أول دمار وخراب لأي أمة، تفشي الأخلاق السيئة فيهـــا، وفساد الذمم، والبعد عن الله تعالى، * روى عن رسول الله ﷺ: (لا قدست أمـــة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها وهو غير مضطهد) (١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كـــافرة ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة.

وقال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ** فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا (٢).

(١) أخرجه الطبراني فى المعجم الكبير جـــ١٩صـــ٣٨٨ وفيه قال فى المجمع رجاله ثقات جـــ٥صـــ٢٠٩ .

(٢) خصائص الأخلاق الإسلامية . ينظر : خلق المسلم د/ مصطفى مراد صـــ١٩ ـــ ٢٧ بتصرف .

الباب الثاني
الرحمـــــة فـــى الإســـلام

الفصل الأول: تعريف الرحمة

أولاً: تعريف الرحمة :

لغة(١): الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليـــه. وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا. والرحمة: المغفرة، وقوله تعالى فـــي وصـــف القرآن: ﴿**هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (٢) أي فصلناه هاديًا وذا رحمة، وقـــوله تعالى فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم: ﴿ **وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ**﴾ (٣) أي هو صلى الله عليه وسلم رحمة ؛لأنه كان سبب إيمانهم، رَحِمَـــهُ رُحمًـــا ورُحُمًـــا ورَحْمَةً ورَحَمَةً ومَرحمةً. وقال الله عز وجل: ﴿ **وَتَوَاصَـــوْا بِالـــصَّبْرِ وَتَوَاصَـــوْا بِالْمَرْحَمَةِ**﴾ (٤) أي أوصى بعضهم بعضًا برحمة الضعيف والتعطف عليه. وترحمت عليه أي قلت: رحمة الله عليه والرحموت: من الرحمة، وترحم عليـــه: دعـــا لـــه بالرحمة، واسترحمه: سأله الرحمة، ورجل مرحوم ومُرَحَّمُ، والله الرحمن الـــرحيم، ذكر الرحيم بعد الرحمن لأن الرحمن مقصور على الله عز وجل والرحيم قد يكون لغيره، وقيل: جيء بالرحيم بعد استغراق الرحمن معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾ (٥).

---

(١) لسان العرب جـ٣صـ ١٦١٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ٥٢ .

(٣) سورة التوبة آية ٦١ .

(٤) سورة البلد آية ١٧ .

(٥) سورة الأحزاب آية ٤٣ .

تعريف الرحمة اصطلاحًا: رَقة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر. فهي مشاركة الكائن الحي لغيره في مثل آلامه ومسراته، والشعور بمثل مشاعره، ولا يشترط في المماثلة التساوي في المقدار، وإنما يكفي فيها المشاركة العامة في الألم والمسرة.

والرحمة: ذات مراتب ودرجات، ولها مستويات متفاوتات، قد يصل بعضها إلى أن يشعر الراحم بمثل مشاعر من يرحمه تمامًا في النوع والمقدار، وقد يعمل التصور على أن تكون فعلاً أكثر من مشاعر من يرحمه، وتتنازل هذه المراتب والمستويات حتى تكون شفقة عابرة، أو رقة آنية لا تقوى على تحريض صاحبها تحريضًا مؤثرًا في بذل معونة، أو تقديم مؤونة، أو مساعدة في خدمة، أو مشاركة في دمعة، أو تضحية بأي شيء قد ينفع مستحق الرحمة، والرحمة كمال في التكوين الفطري، إلا أنه كشأن كل الكمالات الفطرية القابلة للتهذيب والتقويم والتنمية والترقية، والقابلة للتشويه والإفساد والتدني والضمور) [(١)].

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها جـ٢صـ ٥ ، ٦ .

الفصل الثاني
رحمة الله تعالى بخلقه

آيات في الرحمة:

رحمة الله بعباده شملت كل جوانب حياتهم،ووسع ربنا كل شيء رحمة وعلمًا، فرحمته تعالى بعباده شملت جانب العبادات وجانب المعاملات وجانب الأخلاقيات، والنصوص القرآنية الكثيرة دالة على هذا المعنى يقول المولى عز وجل في صدر أول سورة في القرآن الكريم: ﴿ **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ [1].

جاء في تفسير ﴿ **الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ (هما اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم، قيل: الرحمن الرحيم:الرحمن لجميع الخلق، والرحيم: بالمؤمنين ولهذا قال تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [2] فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته، وقال تعالى: ﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾ [3] فخصهم باسمه الرحيم) [4]. وقيل: الرحمن: هو المنعم بجلائل النعم والرحيم هو المنعم بدقائقها. وقيل: الرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور جنسه من العباد، والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور جنسه من العباد ولا يطلق الرحمن إلا على الله تعالى من حيث أن معناه لا يصح إلا له، والرحيم يستعمل في

(١) سورة الفاتحة الآيتان ١ ، ٢ .

(٢) سورة طه الآية : ٥ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٤٣ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ١صـ ٣٥ .

غيره) [(١)]. الرحمن: أي متعطف بالرحمة سبحانه وتعالى، والرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف) [(٢)].

يقول الإمام الماوردي قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ**﴾ فيه قولان: **أحدهما:** أنه اسم ممنوع لا يستطيع الناس أن ينتحلوه. **والثاني:** أنه فاتحة ثلاث سور إذا جمعن كن اسمًا من أسماء الله تعالى (الر) و(حم) و(ن) فيكون مجموع هذه (الرحمن) [(٣)].

قال ابن كثير: " زعم البعض أن العرب لا تعرف الرحمن، حتى رد الله تعالى عليهم ذلك بقوله تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى**﴾ [(٤)] .

ولقد كتب الله تعالى على نفسه الرحمة، ووصف نفسه عز وجل بأنه أرحم الراحمين وبأنه خير الراحمين والآيات الواردة في سعة رحمة الله تعالى كثيرة: قال تعالى: ﴿ **قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ**﴾ [(٥)].

لقد كتب الله تعالى على نفسه الرحمة تفضلاً وكرمًا منه عز وجل على عباده فهو عز وجل مالك الملك يتصرف فيه كيفما يشاء، ولكنه عز وجل كتبها بإرادته المطلقة ومشيئته لا يوجبها عليه موجب ولا يقترحها عليه مقترح إلا إرادته المطلقة وإلا ربوبيته الكريمة يقول سيد قطب: " رحمة الله بعباده هي الأصل حتى في ابتلائه لهم أحيانًا بالضراء فهم يبتليهم ليعد طائفة منهم بهذا الابتلاء لحمل أمانته

(١) موسوعة الأسماء الحسنى د/ الشرباصي جـ١صـ٢٦ ــ٣٠ بتصرف.
(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني صـ ١٩١ بتصرف .
(٣) النكت والعيون جـ٥ صـ ٤٢٢ ، ٤٢٣ .
(٤) تفسير ابن كثير جـ١صـ ٣٦ .
(٥) سورة الأنعام الآية ١٢ .

وليميز الخبيث من الطيب وليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) (١).

أحاديث في الرحمة:

ومن الأحاديث الدالة على سعة رحمته تعالى بعباده في الدنيا والآخرة *ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: " إن لله مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة) (٢).

فالمولى عز وجل أرحم الرحماء بعباده وكل ما نراه في الكون وعلى وجه الأرض ما هو إلا جزء واحد من رحمات الله تعالى وروي البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبيﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ:" أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قلنا: لا وهي تقدر أن لا تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها" (٣).

فهذا بيان من النبي ﷺ لتقريب صورة الرحمة الربانية من أذهان المسلمين، فبهذه الرحمة يتراحم الجميع الإنس والجن والطير والبهائم.

وقيد المولى عز وجل رحمته بمن تَخَلَّق بها فرحم غيره من الخلق، والرحماء يرحمهم الرحمن سبحانه وتعالى ويدخلهم جنته قال تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ**

(١) في ظلال القرآن جـ٢صـ ١٠٤٨ .

(٢) البخاري . كتاب الأدب . باب جعل الله الرحمة في مائة جزء جـ٤صـ٥١ ،مسلم .كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى جـ٤صـ٢١٠.

(٣) البخاري . كتاب الأدب . باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته جـ٤صـ٥١ .

يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنـدَهُمْ ﴾ (١)، وقال النبي ﷺ: " من لا يرحم لا يُرحم" (٢)، وروي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد: مـا هذا يا رسول الله ؟ قال: هذه رحمة جعلها الله تعالى فـي قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) (٣).

ورحمة الله تعالى تسبق غضبه تعالى كما أخبرنا رسول الله ﷺ *عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله لما خلق الخلق كتب كتابًـا عنده فوق العرش،إن رحمتي سبقت غضبي) (٤)، وبرحمته تعالى يدخل المـؤمنين في جنته ويغفر للمسيئين، وبرحمته يستجيب للمضطرين قال تعـالى: ﴿ **أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُـواْ الْجَنَّـةَ لاَ خَـوْفٌ عَلَـيْكُمْ وَلاَ أَنـتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾(٥).

يقصد بهؤلاء أصحاب الأعراف، وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّـن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا...** ﴾ (٦) يخبرنا المولى عز وجل أنـه إذا أذاق الناس رحمة من عند الله فضلاً منه وكرمًا من بعد شدة أو ابتلاء إذا هم بعـد ذلك يكفرون بنعمة الله وينكرون رحمة الله تعالى بهم وينسبونها إلى غير الله تعالى جحودًا وكفرًا.

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٥٦، ١٥٧ .

(٢) البخاري . كتاب الأدب . باب رحمة الولد وتقبيله جـ٤صـ٥١ .

(٣) البخاري . كتاب التوحيد . باب قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ**﴾ جـ٤صـ ٢٧٤ .

(٤) البخاري . كتاب التوحيد . باب (وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) جـ٤صـ٢٨٠ .

(٥) سورة الأعراف الآية ٤٩ .

(٦) سورة يونس الآية ٢١ .

* جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح علــى أثــر ســماء [(١)] أصابهم من الليل ثــم قال: هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي، مؤمن بالكواكب) [(٢)]، وقال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُــواْ بِاللّــهِ وَاعْتَــصَمُواْ بِــهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾ [(٣)] أي يــرحمهم فيدخلهم الجنة ويزيدهم من إحسانه تعالى، ووعد الله تعالى المؤمن الذي يعبده وهو خائف ألا تقبل عبادته،ولكنه يطمع في رحمة الله عز وجل بأنه من أصحاب العقول الفاهمة المتبصرة، المتيقنة برحمته تعالى لعباده الطائعين قال تعالى: ﴿ **أَمَّــنْ هُــوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [(٤)]. فالمؤمن يعبد الله تعــالى وهو خائف راج يخاف ألا يقبل عمله وراج في رحمة الله تعالى لقبول هذا العمل، *وروي عن أنس رضي الله عنه قال: أن النبيﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك ؟ قال إنى أرجو الله وأخاف ذنــوبى، فقــال رســول الله ﷺ لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله عز وجل الــذي يرجــو

(١) أي : مطر .

(٢) مسلم . كتــاب الإيمان . بــاب بيان كفر من قال مطرنا بنوء جــ١صــ٨٣ ــ ٨٤ .

(٣) سورة النساء آية ١٧٥ .

(٤) سورة الزمر الآية ٩ .

وآمنه مما يخافه) (١).

وروي عن رسول الله ﷺ لن يدخل الجنة أحد بعمله قيل حتى أنت يا رسول الله قال حتى أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته) (٢).

من صور الرحمة:

أ ـ الرحمة بالوالدين:

١ ـ آيات في الرحمة بهما:

ومن صور الرحمة التي حثنا عليها المولى عز وجل الرحمة بالأبوين، والإحسان إليهما، الرحمة بهما برًا وعطفًا، وأخذًا بأيديهما عند الكبر وعدم هجرجهما وعدم التأفف منهما. قال تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا*وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ (٣) ، وهذه الآية الكريمة أصل في بيان صور الإحسان إلى الوالدين، والمقام يستدعي بيانها تفصيلاً لما فيها من المعاني السامية والمعاملة الراقية العطوفة بالأبوين ببيان من رب العزة الذي كرمهما بما جاء في هذه الآية الكريمة الرحيمة بهما. يقول المولى عز وجل: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ في الآية قرن المولى عز وجل الأمر بتوحيده بالأمر بالإحسان إليهما تأكيدًا بالبر بالوالدين، فالأمر هنا أمر إلزام بهذين الواجبين ﴿ **إِمَّا**

(١) سنن الترمذى كتاب الجنائز باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين جـ٣صـ٣١١ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

(٢) مسلم . كتاب صفات المنافقين وأحكامهم . باب لن يدخل الجنة أحد بعمله جـ٤صـ ٢١٦٩ .

(٣) سورة الإسراء الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ إهتمام بحال الأبوين عندما يبلغان الكبر والضعف، والآية تركز على الاهتمام بالأبوين حال الكبر، لأنهما في هذه الحالة يحتاجان من أولادهما المساعدة، والعطف، والرحمة، ومن صور الإحسان إليهما في الكبر ألا يتأفف منهما ولا يتضجر منهما، ولا يغضب من أفعالهما مهما كانت داعية إلى الغضب، ونهي المولى عز وجل عن هذا التأفف بكلمة بليغة في بيان ما يؤذيهما من القول حتى ولو كان بكلمة (أف) وهي أقل ما يمكن أن يصدر عن الإنسان حين الغضب أو التعب أو ضيق الصدر، لكن حتى هذه الكلمة البسيطة نهي المولى عز وجل عن قولها لأبويه.

وجاء في معنى الآية [" إذا تبدل الموقف وأخذ كل من الآباء والأبناء موقف الآخر، كبر الأبناء ونضجت عقولهم، وأصبح لهم الحول والطول، وبذلك أخذوا موقف آبائهم من قبل، وأخذ الآباء موقف الأبناء صغارًا في حاجتهم إلى الرعاية في شتى نواحيها كما قال الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً**﴾ (1). وكما أحسن الآباء إلى الأبناء صغارًا بدافع الفطرة فالواجب على الأبناء أن يحسنوا إلى الآباء كبارًا بدافع الشرع والعقل معًا، أما دافع الشرع فهو ممثل في النصوص القرآنية الكريمة والسنة النبوية الشريفة، وأما دافع العقل فحتى يرث أبناؤهم عنهم الإحسان إلى الآباء كبارًا فيحسنون إليهم كبارًا، كما أحسن آباؤهم أمام أعينهم إلى أجدادهم كبارًا. ولم يذكر القرآن غير هاتين الصورتين: ﴿ **فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا**﴾.من صور إيذاء الأبناء للآباء، وهي والعياذ بالله كثيرة، وكأن القرآن يشير بذلك إلى أنه مهما

---

(1) سورة الروم الآية ٥٤ .

أخطأ المسلم فحقه ألا يتجاوز خطؤه هذين الموقفين، وكأن ما عداهما من أخطاء لا يحصل من المسلم، وفي ذلك ما فيه من تخويف من تعدي هذين بعد النهي عن هذين أيضًا وترشد الآية إلى أن الإحسان إلى الوالدين لا ينحصر في ضبط النفس بين أيديهما وإيفائهما حقهما من السكنى والنفقة وإنما يتطلب الإحسان إلى الوالدين بجانب ذلك عاطفة كريمة نحوهما، ينبعث عنها طيب الكلام ولطيف القول قال تعالى: ﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا**﴾] [1].

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾ رائعة

بيانية، فالله تعالى يأمر الولد بان يخضع لوالديه، ويلين لهما لينًا ناشئًا عن خلق الرحمة المتغلغل في قلبه، ويتذلل لهما تذلل الراحم، فيشبه الرحمة بالطائر، ويجعل لهذا الطائر الرحمة الخيالي عدة أجنحة، وأحد هذه الأجنحة يسمى جناح الذل، وإذ يصل القرآن إلى هذه الصورة الخيالية الحلوة يأمر الإنسان بأن يخفض جناح الذل هذا لوالديه، ويعني خفض هذا الجناح تقديم كل صور العطف والإحسان والتكريم العملية، التي يستطيع أن يقوم بها رحمة بوالديه، من تواضع وتذلل، فكل ذلك من خفض جناح الذل، وهذه الصورة البيانية هي من قبيل الاستعارة التخيلية لأن المشبه به وهو الطائر قد حذف ورمز إليه في الاستعارة ببعض خواصه وهو الجناح، فقوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾ يحمل من الأثر في أنفس السامعين ما لا يحمله قول آخر، كقولنا: واخضع لهما وارحمهما، وفي ختام النص يأمر الله تعالى الولد بأن يدعو لوالديه بالرحمة وذلك بقوله: ﴿ **وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ وهذا الدعاء وفاء من الولد لوالديه في حال غيابهما) [2].

---

(١) الوصية بالوالدين د / الحسيني أبو فرحة رحمه الله تعالى صـ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها جـ٢صـ ٢٤ ، ٢٥ .

٢ ـ أحاديث فى الرحمة بالوالدين:

وجاءت سنة النبي ﷺ لتؤكد ما جاء في كتاب الله عز وجل من بر الوالدين والرحمة بهما.

* روي البخاري قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سـألت النبـي ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعـالى ؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت ثـم أي ؟ قـال: بـر الوالدين " قلت ثم أي ؟ قال: الجهاد في سبيل الله) (١) فمن أراد حـب الله تعـالى فليبر والديه ويرحمهما في الكبر، وبرهما في الكبر مقدم على الجهاد في سـبيل الله تعالى مع ما للجهاد من عظيم الثواب، وخاصة إذا كان الأبوان لـيس لهمـا مـن يرعاهما في غياب الابن الوحيد، * أقبل رجل إلى النبي ﷺ فقال: أبايعـك علـى الهجرة والجهاد وأبتغي الأجر من الله تعالى، فقـال النبي ﷺ هل من والديك أحـد حي؟ قال: نعم، بل كلاهما قال: فتبتغي الأجر من الله تعالى ؟ قـال: نعـم، قـال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما) (٢).

* وروي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال. قال رجـل: يـا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال رسول الله: أمك قال الرجل: ثـم من ؟ قال رسول الله ﷺ أمك، قال الرجل: ثم مـن ؟ قال رسول الله ﷺ أمك، قـال الرجل: ثم من ؟ قال رسول الله ﷺ: أبوك) (٣).

*وروي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: "رغـم

---

(١) البخاري . كتاب الأدب ، قـوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ جـ٤صـ ٤٧ .

(٢) البخاري . كتاب الأدب. باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين جـ٤صـ٤٧ ، مسلم .كتاب البر والـصلة . بـاب بـر الوالدين جـ٤صـ ١٩٧٥ .

(٣) البخاري . كتاب الأدب . باب من أحق بحسن الصحبة جـ٤صـ٤٧ .

أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه، قيل من يا رسول الله ؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة) (١).

ومن صور الإحسان إلى الوالدين: إنفاذ عهدهما بعد موتهما وبر أهل ود أبيه،وإكرام صديقهما، وصلة رحمهما وفي هذا استمرار بر الوالدين حتى بعد وفاتهما فاستمرار البر بأهل ود أبيه استمرار للعلاقة الأسرية والعائلية وانتقالها إلى الأولاد بعد موت الأبوين.

*عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: " إن من أبر البر صلة الرجل أهل ودَّ أبيه بعد أن يولي) (٢).

*وروي الإمام أحمد في مسنده عن مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ:إذ جاءه رجل من الأنصار فقال يا رسول الله هل بقي عليٍّ من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به ؟ قال: نعم خصال أربع: الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما) (٣).

٣ـ أحاديث في تحريم عقوق الوالدين:

ولكي يكتمل البر بالوالدين لابد من معرفة الأحاديث الواردة في عقوقهما حتى يبتعد المسلم عن أي صورة من صور عقوقهما حتى لا يبطل ما يفعله معهما من البر والإحسان فكثير من الناس وخاصة الشباب الذي ليس له

---

(١) مسلم .كتاب البر والصلة . باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة جـ٤صـ ١٩٧٨ .

(٢) مسلم . كتاب البر والصلة والآداب . باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم جـ٤صـ ١٩٧٩ .

(٣) مسند أحمد جـ٢٥صـ٤٥٨ ، ابن ماجه كتاب الأدب باب صل من كان أبوك يصل جـ٢صـ١٢٠٩ .

معرفة بصور العقوق يفعل مع أبويه بعض صور العقوق ويظن أن هذا ليس مـــن العقوق وسوف أتناول الأحاديث الواردة في هذا المعنى لعلها ترسخ لدى من يقرأها عظم مكانة الأبوين عند الله عز وجل.

* روي البخاري ومسلم عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائـــر ؟ وكررها الرســـول ﷺ ثلاثًا قلنا: بلى يا رسول الله. قال: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور) [(١)].

* روي مســـلم عـــن أبي هريـــرة رضي الله عنـــه قال: قال رســـول الله ﷺ: (لا يجـــزي ولد والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه) [(٢)].

* وروي البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رســـول الله ﷺ قـــال: إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل: يا رسول الله، وكيف يلعـــن الرجل والديه ؟ قال يسب الرجل
أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه) [(٣)].

*عن أبي بكرة رضى الله عنه قال: قـــال رسول الله ﷺ: "ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعـــة الرحم) [(٤)] وأقرب الرحم للإنسان والداه.

* روي الترمذي عـــن عبد الله بـــن عمرو قـــال: قال رسول الله ﷺ " رضي

(١) البخاري كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر جـــ٤صـــ٤٨ .

(٢) مسلم كتاب العتق باب فضل عتق الوالد جـــ٢صـــ١١٤٨ .

(٣) البخاري . كتاب الأدب . باب لا يسب الرجل والديه جـــ٤صـــ٤٧ .

(٤) ســـنن الترمـــذى كتـــاب صـــفة القيـــامة والرقائـــق والورع جـــ٤صـــ ٥٧٣ ، وقـــال أبـــو عيـــسى : حـــديث حســـن صحيـــح .

الرب فـــي رضى الوالـــد، وسخط الرب في سخط الوالد) [1].

ب ـ مغفرة الذنوب:

١ ـ آيات في المغفرة:

ومن كرم الله عز وجل بعبـــاده ورحمته الواسعة التي تجلت علـــى الطائـــــع وعلى العاصي أنـــه عز وجل يغفر الذنوب لمـــن تاب واستغفر واعتـــرف بذنبه، طامعًا في عفوه ورحمته قـــال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُـسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِـــن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [2].

فـــي تفسير الآية الكريمة وجوه كثيرة منها ما ذكره الفخر الرازي

قال: " هذه الآية تدل على الرحمة من وجوه: الأول: أنه سمي المذنب بالعبـــد، والعبودية مفسرة بالحاجة والمذلة والمسكنة، واللائق بالرحيم الكريم إفاضة الخيـــر والرحمة على المسكين المحتاج. الثاني: أنه تعالى أضافهم إلى نفسه بياء الإضـــافة فقال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا** ﴾ وشرف الإضافة إليه يفيد الأمن مـــن العذاب. الثالث: أنه تعالى قال: ﴿ **أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ** ﴾ ومعناه أن ضـــرر تلـــك الذنوب ما عاد إليه بل هو عائد إليهم فيكفيهم من تلك الذنوب عود مضارها إليهم، ولا حاجة إلى إلحاق ضرر آخر بهم. الرابع: أنه تعالى قال: ﴿ **لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّـــهِ**﴾ نهاهم عن القنوط فيكون هذا أمر بالرجاء، والكريم إذا أمر بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم. الخامس: أنه تعالى قال: أولا ﴿ **يَا عِبَادِيَ** ﴾ ﴿ **لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ**

(١) جامع الترمذى كتاب البر والصـــلة بـــاب مـــا جـــاء من الفضل فـــى رضـــا الوالديـــن صـــ ٣٢١ ، وقـــــال أبـــو عيسى : حديث صحيح .

(٢) سورة الزمر الآية ٥٣ .

اللَّهِ ﴾ ولم يأت النص بالقول: (يا عبادي لا تقنطوا من رحمتي) ؛لأن قولنـــا: الله أعظم أسماء الله وأجلها، فالرحمة المضافة إليه تعالى يجب أن تكون أعظم أنـــواع الرحمة والفضل. السادس: أنه تعالى لما قال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الـــذُّنُوبَ جَمِيعًـــا** ﴾ واقتران اسم الله تعالى بالمغفرة يدل على المبالغة في الوعد بالرحمن. الـــسابع: أن الله تعـــالى قال: ﴿ **يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾ للتأكيد على المغفرة للذنوب كلها. الثامن: أنه تعالى وصف نفسه بكونه غفورًا، ولفظ الغفور يفيد المبالغة.

التاسع: أنه تعالى وصف نفسه بكونـــه رحيمًا والرحمة تفيد فائدة

على المغفرة فكأن قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ** ﴾ إشارة إلى إزالة موجبـــات العقاب، وقوله تعالى ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ إشارة إلى تحصيل موجبـــات الرحمـــة والثـــواب. العاشر: أن قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ يفيد الحصر ومعنـــاه: أنـــه لا غفور ولا رحيم إلا هو، وذلك يفيد الكمال في وصفه سبحانه بالغفران والرحمة)[1].

وقال سيد قطب: إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية كائنة ما كانت وإنها الدعوة للتوبة، ودعوة للعصاة المسرفين، الشاردين، المبعدين فـــي تيـــه الـــضلال، ودعوتهم إلى ألأمل والرجاء والثقة بعفو الله، إن الله رحيم بعباده وهو يعلم ضعفهم وعجزهم، ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانهم ومن خارجه ويعلـــم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد، ويأخذ عليهم كل طريق، ويجلب عليهم بخيله ورجله، وأنه جاد كل الجد في عمله الخبيث، يعلم أن بناء هذا المخلوق الإنساني بنـــاء واه، وأنه مسكين سرعان ما يسقط إذا أفلت من يده الحبل الذي يربطه والعروة الـــوثقى التي تشده، يعلم الله سبحانه عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له في العون ويوسع لـــه

---

(١) االفخر الرازي جـ٢٧ صـ ٤ .

في الرحمة، ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيئ له جميع الوسائل ليصلح خطأه ويقيم خطاه على الصراط، وبعد أن يلج في المعصية ويسرف في الذنب، ويحسب أنه قد طرد وانتهى أمره ولم يعد يقبل ولا يستقبل، في هذه اللحظة لحظة اليأس والقنوط يسمع نداء الرحمة الندى اللطيف)[١].

٢ ـ أحاديث في رحمة الله تعالى بمغفرة الذنوب:

* روي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه تعالى قال: (أذنب عبد ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب أغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًأ يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء) [٢]. فالمغفرة تكون لمن تاب عن ذنبه والمغفرة لجميع الذنوب حق وهذا فضل ومنَّة منه تعالى.

*روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت الآية ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [٣].

ومن النصوص الدالة على سعة رحمة الله تعالى والتي تحث المسلم على ألأمل وعدم القنوط من رحمة الله الواسعة،وأن يطلبوا الرحمة من الذي خلقهم،

(١) تفسير في ظلال القرآن جـ٥صـ ٣٠٥٧ ـ ٣٠٥٨ .

(٢) مسلم . كتاب التوبة . باب قبول التوبة من الذنوب جـ٤صـ ٢١١٢ .

(٣) البخاري . كتاب التفسير . باب تفسير سورة الزمر جـ٢صـ ١٨٢ .

فالمرجع والمآل إليه سبحانه وتعالى قوله تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلا**﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ** ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ **فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ (٣). في هذه الآيات الثلاث دعوة إلى الأمل وعدم اليأس،فالبشر جميعًا في رحمة الله تعالى وهو القادر على عقابهم بما عصوا وهو القادر على المغفرة، فهو سبحانه وتعالى صاحب الرحمة الواسعة التي تشمل المؤمن والعاصي فالأمر كله معلق بمشيئته سبحانه وتعالى فلا منجي ولا ملجأ إلا إلى الله عز وجل، ويخاطب المولى عز وجل نبيه محمد ﷺ يقول له: يا محمد لو كذبك قومك فقل لهم إن ربكم رحيم بكم رءوف بكم رغم ما تفعلون مع رسوله ﷺ فما الصبر عليكم إلا رحمة بكم لعلكم ترجعون عما أنتم فيه فيغفر لكم ذنوبكم، وقوله تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ**﴾ بيان أن الله عز وجل لا يحتاج إلى طاعة المطيعين ولا يضره عصيان العاصين فإنه تعالى غني لذاته عن جميع العالمين.

وقال الفخر الرازي: " ومن رحمته على الخلق ترتيب الثواب والعقاب على الطاعة والمعصية. وقوله تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ**﴾ يفيد الحصر، فإن معناه: أنه لا رحمة إلا منه، وسائر أنواع الرحمة (كرحمة الوالدين على الولد والمولى على عبده وغيرها) كلها من الله تعالى ويدل عليه وجوه:

الأول: لولا أنه تعالى ألقى في قلب هذا الرحيم داعية الرحمة لما أقدم على

(١) سورة الكهف الآية ٥٨ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٣ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٤٧ .

الرحمة، فلما كان موجد تلك الداعية هو الله، كان الرحيم هو الله تعالى، وثبت أن مقلب القلوب هو الله تعالى، وقال تعالى: ﴿ **وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ**﴾ (١) فثبت أنه لا رحمة إلا من الله تعالى. **الثاني:** هب أن ذلك الرحيم أعطى الطعام والثوب والذهب ولكن لا صحة للمزاج والتمكن من الانتفاع بتلك الأشياء، وإلا فكيف الانتفاع، فالذي أعطى صحة المزاج والقدرة هو الرحيم في الحقيقة. الثالث: أن كل من أعطى غيره شيئًا، فهو إنما يعطي لطلب عوض وهو إما الثواب في الدنيا أو الثواب في الآخرة، وهو تعالى يعطي لا لغرض أصلاً فكان تعالى هو الرحيم الكريم) (٢).

وفي مسند أحمد عن عمرو بن عبسة قال جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخ كبير يدعم على عصا له فقال: يا رسول الله إن لي غدرات وفجرات(٣)، فهل يغفر لي؟ فقال: ألست تشهد أن لا إله إلا الله قال بلى وأشهد أنك رسول الله فقال قد غفر لك غدرك وفجراتك) (٤).

فهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد أنه تعالى يغفر جميع الذنوب مع التوبة قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ (٥).

جـ- رحمة الله تعالى بإنزال القرآن الكريم:

ومن عظيم رحمته وفضله أنه تعالى أنزل القرآن العظيم على رسوله ﷺ،

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٠ .

(٢) تفسير الفخر الرازي جـ١٣ صـ٢٠٠ بتصرف .

(٣) فجرات : يقال : أَفَجَرَ الرجل إذا كذب ، وأفجر الرجل إذا عصى .

(٤) مسند الإمام أحمد جـ٣٢صـ١٧١ الحديث صحيح بشواهده وأورده ابن حجر فى المطالب ٢٨٤٧ والهيثمى فى المجمع جـ١صـ٣٢ .

(٥) سورة النساء الآية ١١١ .

فيه الخير والشفاء والرحمة للمؤمنين. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾(1) يقول المولى عز وجل ممتنا على خلقه بما أنزل إليهم من القرآن الكريم وبما شرع لهم فيه مما يعود عليهم بالخير والسعادة والطمأنينة وشفاء لما في الصدور كما قال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا** ﴾ (2).

قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (3).

د ـ رحمة الله تعالى بعباده أن خلق لهم من أنفسهم أزواجًا ليسكنوا إليهم:

من عظيم رحمة الله تعالى بعباده أن جعل أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم محبة ورحمة ورأفة وهذه العلاقة من أقوى العلاقات الإنسانية فهي مبنية على الرحمة، فلا يقسوا الرجل على زوجته بل هو مطالب بالعطف والحنو عليها كما أمره المولى عز وجل، وكذلك الزوجة مع زوجها.

يقول سيد قطب: الناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر وتشغل أعصابهم ومشاعرهم، تلك الصلة بين الجنسين وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة، ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجًا وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكنًا للنفس وراحة للجسم والقلب واستقرارًا للحياة والمعاش وأنسًا

(1) سورة يونس الآيتان ٥٧ ، ٥٨ .

(2) سورة الإسراء الآية ٨٢ .

(3) سورة الروم الآية ٢١ .

للأرواح والضمائر واطمئنانًا للرجل والمرأة على السواء، والتعبير القرآني اللطيف الرقيق يصور هذه العلاقة تصويرًا موحيًا وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس.

قال تعالى: ﴿**لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ (١).

هـ- رحمة الله تعالى بعباده فى التشريع:

أولاً: فى القصاص:

ومن عظيم رحمته بعباده في تشريعه قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾(٢). الآية الكريمة تبين لنا سماحة الشريعة الإسلامية بما يخص أمر القصاص. تقف الشريعة من الأمر موقف يتسم بالاعتدال والتوازن بعيدًا عن إفراط اليهود وتفريط النصارى، جاء فى سبب نزول الآية " أن اليهود كانوا يوجبون القتل فقط، والنصارى يوجبون العفو فقط، أما العرب فتارة كانوا يوجبون القتل وأخرى يوجبون الدية لكنهم كانوا يظهرون التعدى فى كل واحد من الحكمين، فبعث الله سيدنا محمدًا ﷺ بالعدل وسوّى بين عباده فى القصاص) (٣).

قال قتادة: (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) ـ رحم الله هذه الأمة وأطعمهم الدية ولم تحل لأحد قبلهم فكان أهل التوراة إنما هو القصاص وعفو ليس بينهم أرش،

(١) تفسير في ظلال القرآن جـ٥صـ ٢٧٦٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٨ .

(٣) تفسير الطبرى جـ٢صـ٦٠ـ ٦١ ، وأسباب النزول للنيسابورى صـ٣٠ .

وكـــان أهل الإنجيل إنما هو عفو أمروا به، وجعل لهذه الأمة القـــصاص والعفـــو والأرش [1]) [2].

ثانيًا: في الجهاد:

قال تعالى: ﴿**لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُـسِهِمْ عَلَـى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا* دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [3] عن زيـد بـن ثابت رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ أملي عليه (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها عليَّ فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخـذه علـى فخذي فثقلت عليَّ حتى خفت أن تَرُض فخذي ثم سُرِّيَ عنه فأنزل الله ﴿**غَيْرُ أُوْلِـي الضَّرَرِ**﴾ [4]. وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إن أقواماً بالمدينـة خلفنا ما سلكنـا شعباً ولا واديـا إلا وهـم معنا حبسهم العذر)[5] لقد تجلت رحمة الله تعالى في تشريع الجهاد أن من يتخلف عن الجهاد لعذر يعطـيهم مـن الأجـر والثواب مثل ما للمجاهدين.

روي عـن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إن فـي

---

(١) الأرش : أصل الأرش : الخدش ، ثم قيل : لما يؤخذ ديه لها أرش ، والأرش من الجراحـات لـيس لـه قـدر معـلوم ، وقيـل : هي ديـة الجراجات ، والمأروش : المخدوش . لسان العرب جـ١صـ٦٠ ـ٦١ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ١صـ ٣٠١ .

(٣) سورة النساء الآيتان ٩٥ ـ٩٦ .

(٤) البخاري . كتاب التفسير . باب تفسير سورة النساء جـ٣صـ ١٢١ .

(٥) البخاري. كتاب الجهاد. باب من حبسه العذر عن الغزو جـ٢صـ١٤٤

الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) [١].

ثالثًا: فى الدعاء:

ومن رحمته بعباده أن علمهم الدعاء بطلب الرحمة من المولى عز وجل، فكثير من الآيات القرآنية تعلمنا صيغ الدعاء لله عز وجل ومنها طلب الرحمة قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [٢].

وجاء في فضل الدعاء بآخر آيتين من سورة البقرة ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه. قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ: سمع نقيضًا [٣] من فوقه. فرفع رأسه. فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم. فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم. فسلم فقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته " [٤].

وقال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾ [٥]. وكان من دعائه ﷺ إذا استيقظ من الليل: لا إله إلا أنت سبحانك اللهم إني استغفرك لذنبي وأسألك رحمة، اللهم زدني علمًا، ولا تزغ قلبي بعد إذ

---

(١) البخاري . كتاب الجهاد . باب درجات المجاهدين في سبيل الله يقال هذه سبيلي وهذا سبيلي جـ٢صـ ١٣٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

(٣) نقيضًا : أي : صوتًا كصوت الباب إذا فتح .

(٤) مسلم . كتاب صلاة المسافرين . باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة جـ١صـ ٥٥٤ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٨ .

هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) [1].

قال تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [2]، قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [5].

و ـ رحمة الله تعالى بأن جعل المؤمن رحيمًا بأخيه المؤمن:

وصف الله تعالى أصحاب رسوله محمد ﷺ في القرآن الكريم بأنهم

أشداء على الكفار أعداء الله المحاربين، ورحماء بإخوانهم المؤمنين قال تعالى: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾ [6].

لقد كان حال الصحابة مع الكفار المحاربين المعتدين أشداء، فيهم غلظة وقوة وحالهم فيما بينهم رحماء لينون متعاطفون، وهذه المشاعر هي مشاعر الإخوة في الدين، قال الألوسي: " وفي وصفهم بالرحمة بعد وصفهم بالشدة تكميل واحتراس، فإنه لو اكتفى بالوصف الأول لربما توهم الفظاظة والغلظة مطلقًا فدفع بأرداف الوصف الثاني، ومآل ذلك أنهم مع كونهم أشداء على الأعداء الكفار، رحماء على الإخوان ونحوه قوله تعالى: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى**

(١) أخرجه أبو داود كتاب الأدب جـ٤صـ ٣٤٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥١ .

(٣) سورة الكهف الآية ١٠ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٨٣ .

(٥) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

(٦) سورة الفتح الآية ٢٨ .

الْكَافِرِينَ﴾ (١).

وقال الشاعر:

حليم إذا ما الحلم زين أهله ** على أنه عند العدو مهيب

وبلغ من تراحم الصحابة فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه.

وللعلماء فى حكم المصافحة آراء:

* المصافحة لم يختلف فيها الفقهاء بجوازها واستدلوا بما ورد عن رسول الله ﷺ * أخرج أبو داود عن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر لهما) (٢).

* وفي رواية الترمذي: " ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا " (٣).

* وفي الأذكار النووية أنها مستحبة عند كل لقاء فإن أصل المصافحة سنة، أما المعانقة فقال الزمخشري: كرهها أبو حنيفة رضي الله عنه وكذلك التقبيل. قال: لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئًا من جسده، ويؤيد ما روي عن الإمام أبو حنيفة * ما أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رجلاً يقول لرسول الله ﷺ، يا رسول الله الرجل منا يلقي أخاه، أينحني له ؟ قال: لا، قال: أفيلزمه ويقبله ؟ قال: لا، قال: أيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال: نعم) (٤).

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٤ .

(٢) أبو داود . كتاب الأدب باب فى المصافحة جـ٤صـ٣٩٤ .

(٣) جامع الترمذى كتاب الاستئذان باب ما جاء فى المصافحة صـ٤٤٠ قال أبو عيسى : حديث حسن غريب من حديث أبى إسحاق عن البراء .

(٤) جامع الترمذى كتاب الاستئذان باب ما جاء فى المصافحة صـ٤٤٠ قال أبو عيسى : الحديث حسن .

قال النووى: تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه أو علمه أو شرفه أو صـــيانته أو نحو ذلك من الأمور الدينية لا يكره بل يستحب، فإن كان لغناه أو شوكته أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه، وفى الأذكار للإمام النووى: التقبيل وكذا المعانقة لا بـــأس به عند القدوم من سفر ونحوه، أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالـــت: قدم زيد بن خالد بن حارثة المدينة ورسول الله في بيتي، فقرع البـــاب فقـــام إليـــه رسول الله ﷺ يجر ثوبه، فاعتنقه وقبله) [1]، وقال رسول الله ﷺ: (من لـــم يـــرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا) [2] [3].

ز ـ التواصي بالرحمة:

ويرشد المولى عز وجل عباده لكى يكونوا من أصحاب الميمنة ويفوزوا بالجنة أن يتحلوا بالإيمان ويتواصوا فيما بينهم بالصبر والمرحمة. قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ كَـــانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ**﴾ [4].

المعنى: أنه كان يوصي بعضهم بعضًا بالصبر على الإيمان والثبات عليـــه،أو الصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلي بها المؤمن، ثم ضم إليـــه التواصي بالمرحمة، وهو: أن يحث بعضهم بعضًا على أن يرحم المظلوم أو الفقير، أو يرحم المقدم على منكر فيمنعه منه، لأن كل ذلك داخل في الرحمة، وهذا يـــدل على أنه يجب على المرء أن يدل غيره على طريق الحق، وله من الثواب مثل مـــا

(١) جامع الترمذى كتـــاب الاستئذان باب ما جـــاء فى المعانقة والقبلة صـــ٤٤٠ قال أبو عيـــسى: حـــديث حـــسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٢) سنن أبي داود . كتاب الأدب . باب في الرحمة جـــ٤صـــ ٣١١ .

(٣) تفسير روح المعاني جـــ٢٦ صـــ ١٢٣ ـــ ١٢٤ بتصرف وتفسير الكشاف جـــ٣صـــ ٥٥٠ .

(٤) سورة البلد الآية ١٧ .

يأمر به قال ﷺ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) (١)، ويمنعه من سلوك طريق الشر والباطل ما أمكنه، (وتواصوا بالمرحمة) إشارة إلى أن الشفقة على خلق الله ومدار أمر الطاعات ليس إلا على هذين الأصلين (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) (٢) .

* قال ﷺ: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) (٣).

* وقال ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا) (٤).

ح ـ مضاعفة جزاء الحسنات، والسيئة إن لم تغفر فالعقاب بمثلها:

ومن عظيم رحمته تعالى أنه جعل أدنى ثواب الحسنة عشر أمثالها وأعلى جزاء السيئة مثلها، عن أبي ذر الغفاري قال: قال النبي ﷺ يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة) (٥).

---

(١) مسلم كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازى فى سبيل الله بمركوب وغيره جـ٣صـ١٥٠٦ .

(٢) تفسير الفخر الرازي جـ٣١ صـ ١٨٦ ، ١٨٧ بتصرف .

(٣) البخاري . كتاب الأدب . باب رحمة الناس والبهائم جـ٤صـ ٥٣ .

(٤) البخاري . كتاب المظالم . باب نصر المظلوم جـ٢صـ٦٧ ، ومسلم . كتاب البر . باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم جـ٤صـ ١٩٩٩ .

(٥) مسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار جـ٤صـ ٢٠٦٨ .

الفصل الثالث

رحمة رسول الله ﷺ

أولاً: حديث القرآن الكريم عن رحمة النبي ﷺ:

الحمد لله الذى وسع كل شيء رحمة وعلمًا، ومن عظيم رحمته أن أرسل إلينا رسوله سيدنا محمدًا ﷺ رسول رحمة للعالمين، وهذا من فضل الله وكرمه، ولقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين للمسلمين حقيقة رحمة الرسول عليه الصلاة والسلام، وبيان من تشملهم من خلق الله عز وجل.

١ ـ حسن خلقه ومعاملته للناس بعض أخلاقه ﷺ:

* قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ (١) الآية الكريمة خطاب للنبي ﷺ تبين فضل الله عز وجل على رسوله ﷺ وما منَّ عليه بعظيم الخُلق، إلا أن الآية تشمل جميع المسلمين " فالآية تبين الحقيقة النبوية الشريفة، فهذه الرحمة الإلهية المتمثلة في شخص النبي ﷺ وضعت في قلب الرسول عليه الصلاة والسلام لتتجمع حولها قلوب المسلمين، وتتألف حولها النفوس، وتكون للمسلمين المثل الأعلى في الرحمة، فبهذه الرحمة الإلهية آمن كثير من الخلق، وبها التف حوله جميع المسلمين، " ورحمة الله تعالى التي نالته ﷺ فجعلته ﷺ رحيمًا بهم لينا معهم، ولو كان فظًا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

المشاعر، فهم بحاجة إلى كنف رحيم وإلى بشاشة وود يسعهم ويحمل همومهم.

وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ، ما غضب لنفسه قط،ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، بل كان يعفو ويفصح لمن أخطأ منهم، ومن صفاته الكريمة المشورة معهم والأخذ برأيهم، هكذا كان خلق رسول الله ﷺ مع المؤمنين يسعهم حلمه ورحمته واستغفاره لهم)[1].

قال الفخر الرازي:" واعلم أن لينه ﷺ مع القوم عبارة عن حسن خُلُقه مع القوم قال تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [3].

وقوله: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [4] أن كمال رحمة الله في حق سيدنا محمد ﷺ أنه عرفه مفاسد الفظاظة، والفظ: الغليظ الجانب السيئ الخلق، فإن قيل ما الفرق بين الفظ وبين غليظ القلب ؟ الفظ: سيئ الخلق، وغليظ القلب: الذي لا يتأثر قلبه من شيء، فقد لا يكون الإنسان سيئ الخلق ولا يؤذي أحدًا ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم، واللين والرفق إنما يجوز إذا لم يفضي إلى إهمال حق من حقوق الله، فأما إذا أدى إلى ذلك لم يجز [5].

٢ ـ قبول توبة المذنب مرتبط بحسن الأدب مع النبى ﷺ واستغفار النبى ﷺ له:

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ**

(١) في ظلال القرآن جـ١صـ ٥٠٠ بتصرف .

(٢) سورة الشعراء الآية ٢١٥ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(٥) تفسير الفخر الرازى جـ٩صـ٦٣ .

الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [1] إرشاد وتعليم من رب العزة لكل العصاة والمذنبين إذا أذنبوا أو وقعوا في المعصية أن يأتوا إلى الرسول ﷺ ليطلبوا منه ﷺ أن يستغفر لهم، فإذا استغفر النبي ﷺ تاب الله عليهم،ورحمهم وغفر لهم،فقبول استغفارهم مرتبط بحسن الأدب مع النبي ﷺ،وهذا من عظيم فضل الله عز وجل على نبيه سيدنا محمد ﷺ أن علم أمته كيف يتخلقوا بحسن الخُلُق مع رسولهم ﷺ، وإلا لماذا طالبهم المولى عز وجل أن يرجعوا إلى النبي ﷺ ليستغفر لهم ؟ ألا يكفيهم استغفارهم لله عز وجل ؟ هذا فضل من الله عز وجل لنبيه ﷺ قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [2].

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: أن لفظ الآية جاء: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ**﴾، فمجيئهم في حال حياة النبي ﷺ معلوم ولكن كيف نأتيه بعد وفاته ﷺ، والجواب على هذا السؤال: أن النبي ﷺ توفى نعم،ولكن ليس بغائب عن أمته بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [3].

فأعمالنا تعرض على النبي ﷺ وهو شاهد على أعمالنا قال تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا﴾** [4] ثبت بالآية أن الرسول ﷺ والمؤمنين شهداء الله يوم القيامة، والشهادة لا تصح إلا بعد الرؤية، فذكر تعالى أن الرسول عليه السلام والمؤمنين يرون أعمالهم.

* روي عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من

(١) سورة النساء آية ٦٤ .

(٢) سورة المائدة آية ٥٤ .

(٣) سورة التوبة آية ١٠٥ .

(٤) سورة النساء الآية ٤١ .

أفضل أيامكم يوم الجمعة،فيه خلق آدم،وفيه قبض،وفيه النفخة،وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت (1) ؟ قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) (2).

* وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدًا لن يصلي عليَّ إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها، قال: قلت: وبعد الموت ؟ قال:إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) (3).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من أحدٍ يسلم عليَّ إلا رد الله على روحي حتى أرُدَّ عليه السلام) (4).

كتب أ. د / حسن جبر الأستاذ بكلية أصول الدين تعليقًا على ما ورد فى شرح الآية الواردة فى سورة النساء الآية ٦٤ والأحاديث الواردة بعد ذلك ما يلى " والمجىء إلى النبى ﷺ فى حياته من أجل نبوته لا لشىء آخر، ونبوته ﷺ دائمة خالدة خاتمة لم تنته بانتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فصح من هذا الوجه.أيضًا إتيانه ﷺ فى قبره عملاً وتطبيقًا لهذه الآية، أو التوجه إليه بالسلام عليه فى أى مكان، ثم نعمل بالآية ونسأله الاستغفار لنا، وإلا فما أخذ حظه منه ﷺ مَنْ لا يجد ما يحمله إليه

---

(1) أرمت : أي بليت .

(2) مسند أحمد جـ٢٦صـ٨٤ وابن ماجه. كتاب الجنائز . باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ جـ١صـ٥٢٤ .حديث إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح .

(3) ابن ماجه .كتاب الجنائز .باب ذكر وفاته جـ١صـ ٥٢٤ ، وفي الزوائد هذا الحديث صحيح إلا أنه منقطع في موضعين .

(4) أخرجه أبو داود .كتاب المناسك . باب زيارة القبور جـ٢صـ ٢١٨ ، مسند أحمد جـ١٦صـ٤٤٧ حديث إسناده حسن .

ولا نفقة الوصول إليه ﷺ ".

*عـن الحسن رضى الله عنه، عن النبى ﷺ " حيثما كنتم فصلوا علـى، فـإن صلاتكم تبلغنى) (١) .

* وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: ليس أحد من أمة محمد ﷺ يسلم عليه ويصلي عليه إلا بُلغه) (٢)،وقول سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه لـه حكم المرفوع لأنه مما لا مجال للرأى فيه فكأنه رواه عن النبى ﷺ، يؤكد هذا مـا قاله الحاكم فى المستدرك " ليعلم طالب الحديث أن تفسير الـصحابى الـذى شـهد الوحى والتنزيل حديث مسند " ولكن قيد ابن الصلاح والنـووى وغيرهمـا هـذا الإطلاق بما يرجع إلى أسباب النزول، وما لا مجال للرأى فيه) (٣)،وقول سـيدنا عبد الله بن عباس يتعلق بأمر غيبى فلابد وأن يكون سمعه من النبى ﷺ.

وجاء في تفسير ابن كثير:" وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو نصر بن الصباغ(٤) في كتابه (الشامل) الحكاية المشهورة عن العُتبي، قال: كنت جالسًا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُـمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّـهَ تَوَّابًـا رَّحِيمًا**﴾. وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ** فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبـر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم**

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقـال يـا

(١) مسند الإمام أحمد جـ٢صـ٣٦٧ ، ورواه أبو داود كتاب النكاح والحديث صحيح .

(٢) الشفا في تعريف حقوق المصطفى جـ٢صـ٩٨ .

(٣) تدريب الراوى صـ٦٤ .

(٤) الصباغ : هو الفقيه عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد البغدادي الشافعي ،كان حجة ، العبر للذهبي جـ٣صـ ٢٨٧ .

عتبى الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له)[1].

وهذه الأبيات مكتوبة إلى الآن على قائم الحاجز أمام قبر الحبيب المصطفى يقرأها كل زائر.

٣ـ وصفه ﷺ بالرؤوف الرحيم:

ويبين المولى عز وجل في كتابه العزيز صفات النبي ﷺ ووصفه باسمين من أسمائه وهما ﴿ **رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [2] يقول المولى عز وجل ممتنًا على المؤمنين بأنه تعالى أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم، يشعر بما يشعرون، يفرح بما يفرحون، يخاف عليهم كخوفه على نفسه ﷺ، فهو حريص عليهم، يتمنى لهم الخير، والاهتداء إلى الطريق المستقيم، يعز عليه ﷺ بعدهم عن طاعة الله، وعدم الإيمان والتسليم لله عز وجل، وحرص النبي ﷺ على هداية قومه وإيصال الخير لهم يعلمه القريب والبعيد، وكان ﷺ يتحمل الكثير من الأذى، والألم الشديد في سبيل هدايتهم، قال تعالى: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ [3].

معنى: باخع: أي مهلك نفسك على عدم إيمانهم بالقرآن "ولا عجب في ذلك فقد أودعه الله الرحمة والشفقة على الخلق جميعًا وخاصة قومه وعشيرته، ووصفه المولى عز وجل في ختام الآية وسماه تعالى باسمين من أسمائه قال تعالى: ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾.

ومن عظيم رحمته تعالى بخلقه أن أرسل إليهم رسولاً منهم، وجعله رحمة

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢صـ ٣٠٦ .

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٨ .

(٣) سورة الكهف الآية ٦ .

للعالمين، وللناس كافة بجميع أطيافهم وأجناسهم، فهو ﷺ نعمة من نعـم الله علـى خلقـه، وشملت رحمته ﷺ المسلم وغير المسلم، *جاء في صحيح مسلم عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أدع على المشركين، قال: إنـي لـم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة) (١).

وقالﷺ: (إنما أنا رحمة مهداة) (٢).

فالرحمة المهداة كما ورد في الحديث الشريف عامة، لم تخص قوم دون قـوم، بل هى رحمـة مهـداة إلى جميع الخلق.اللهم زده شرفًا على شرفـه الذى أوليتـه وعـزًا على عزه الذى أعطيته ونورًا على نوره الذى منه خلقته وصلى الله عليـه وسلم تسليمًا كثيرًا.

ثانيًا: الأحاديث الواردة في كمال رحمته ﷺ بأمته:

أ- رحمته ﷺ بالصغار:

لقد كان من عظيم رحمته ﷺ،رحمته بالصغار * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ وعنده الأقرع بن حابس التميمـي جالـسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يَرحم لا يُرحم) (٣).

*وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبـي ﷺ فقـال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم فقال النبي ﷺ: أو أملكُ لـك أن نـزع الله مـن قلبـك الرحمة)(٤).

(١) مسلم . كتاب البر والصلة . باب النهي عن لعن الدواب وغيرها جـ٤صـ ٢٠٠٧ .

(٢) الدارمي . باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ جـ١ صـ٩ .

(٣) البخاري. كتاب الأدب. باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته جـ٤صـ٥١

(٤) البخاري .كتاب الأدب .باب رحمة الولد وتقبيله جـ٤صـ ٥١ .

وقال ثابت عن أنس أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبله وشمه) (١)، روي عن أبي قتادة قال: خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقة فصلى فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها) (٢). وأمامة بنت أبى العاص هى ابنة السيدة زينب رضى الله عنها بنت النبى ﷺ.

تبين الأحاديث السابقة عناية وعطف رسول الله ﷺ بالصغار وتعليم صحابته ومن بعد أمته كيف يكون التعامل مع الصغار ومدى شفقته ﷺ على الصغار، ففي الحديث الشريف رحمته لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط فيضعها بالأرض ثم يحملها مرة أخرى عندما يقوم من السجود مخافة أن يتركها على الأرض فتبكي، وتعليمه للأقرع بن حابس أنه من لا يكن من أهل الرحمة فإنه لا يرحم.

وجاء في معنى الأحاديث "فيها بيان سنة من سنن الله تعالى وأن "الجزاء من جنس العمل فمن يعامل الناس بالقسوة،عامله الله تعالى بمثل عمله، وجزاه بمثل صنيعه،أما من يعامل الناس بالرحمة والإحسان والعطف والحنان فإن الله الرحمن الرحيم يكافئه بالرحمة والإحسان.

"وأما تقبيل الصغار وضمهم والحنو عليهم يغذيهم نفسيًا بما يحتاجون إليه من حنان وعطف، وذلك أن الطفل كما يحتاج إلى غذاءٍ مادي عن طريق الطعام والشراب، يحتاج إلى غذاء نفسي عن طريق الرحمة والحنان والعطف، والطفل الذي يأخذ وجباته الضرورية من غذائه النفسي يكون أكثر نموًا من الطفل الذي يحرم من ذلك،مهما أعطى وجبات كافية من الغذاء الجسدي، ولذلك علمنا الرسول

(١) البخاري .كتاب الأدب .باب رحمة الولد وتقبيله جـ٤صـ ٥١ .

(٢) البخاري .كتاب الأدب . باب رحمة الولد وتقبيله جـ٤صـ ٥١ .

ﷺ بتوجيهاته القولية والعملية ما ينبغي لنا أن نمنحه أطفالنا من عطف وحنان وقبلات وما ينبغي أن نشعر به نحوهم من رحمة) [١].

ومن رحمته ﷺ بالصغار أنه كان يتجوز في الصلاة عندما يسمع بكاء صبي،عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها، فاسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه) [٢] فالرحمة هنا شملت الصبي وأمه، لعلمه ﷺ أن الأم عندما تسمع بكاء طفلها يتألم قلبها فأشفق عليها ﷺ فخفف من صلاته لأجلهما.

ب ـ رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله عنهن:

أحاديث زوجات الرسول ﷺ. وما كان من رحمته ﷺ بهن كثيرة، فقد كان ﷺ يشاركهن في أعمال المنزل ويقوم بخدمة نفسه ﷺ والأحاديث في هذا المقام كثيرة أذكر منها.

روي البخاري عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله ؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة)[٣] وكان ﷺ يخصف نعله بيده الشريفة، ويخيط ثوبه ويخدم نفسه، روي الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول اللهﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه،ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته) [٤].

كهذا كان رسول الله ﷺ مع زوجاته زوجًا رحيمًا سمحًا عطوفًا فليت

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها جـ٢صـ ١٥ .

(٢) البخاري . كتاب الأذان .باب من أخف في صلاته عند بكاء الصبي جـ١صـ ١٣٠ .

(٣) البخاري .كتاب الأدب.باب كيف يكون الرجل في أهله جـ٤صـ ٥٦ .

(٤) مسند الإمام أحمد جـ٤١صـ٣٩٠ حديث صحيح ، أخرجه البخارى فى الأدب المفرد حديث ٥٣٩ .

الشباب في هذا العصر يقتدوا برسولهم ﷺ في رحمته بأهــل بيتــه ويفعلــوا مــع زوجاتهم كما كان يفعل الرسول ﷺ.

جـ- رحمته ﷺ بالبنات والنساء:

ومن عظيم رحمته ﷺ، رحمته بالبنات والنساء، حثه ﷺ الأب أن يحسن تربيــة بناته وخص البنات بالذكر، لما كان معروفًا عند العرب من تفضيلهم الذكور علــى الإناث وهذا يوجد للأسف في بعض الأسر الآن فــي تمييز الذكور عن الإنــاث، فقالﷺ: " من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو " وضمَّ أصابعه) [(١)]، وطلب ﷺ من المسلمين الرحمة بالنساء والصبر عليهن ومعاملتهن بالرفق وعــدم إيذائهن، قالﷺ: (استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع،وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنــساء خيرًا) [(٢)].

* قال ﷺ: (اللهم إني أحرِّج [(٣)] حق الضعيفين: اليتيم والمرأة)[(٤)].

* وروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها قال: دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجــد عندي شيئًا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فقــسمتها بــين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال: " من ابتُلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار) [(٥)] بلاغ وبــشارة

---

(١) مسلم .كتــاب البر والصلة .بــاب فضل الإحسان إلى البنات جـــ٤صـــ٢٠٢٨ . ومعنى (من عال جاريتين) أى قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما و(أنا وهو . وضم أصابعه) جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين .

(٢) مسلم . كتاب الرضاع جــ٢صـــ١٠٩١ .

(٣) أُحرج : أُلحِقَ الحَرَج ، وهو الإثم ــ بمن ضيع حقهما ، واحذر من ذلك تحذيرًا شديدًا .

(٤) أخرجه ابن ماجه كتاب الأدب باب حق اليتيم جـــ٢صـــ٣٩٧ .

(٥) مسلم .كتــاب البر والصلة .بــاب فضل الإحسان إلى البنات جـــ٤صـــ٢٠٢٧ .

من النبي ﷺ أن الأم التي تقوم بتربية البنات وتحسن إليهن تدخل الجنة وتحمي من دخول جهنم ومن عذابها. *وقال ﷺ: (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخيارهم خيارهم لنسائهم وخياركم خياركم خلقًا) (١).

د ـ رحمته ﷺ بالضعفاء (اليتيم والأرملة والمسكين والخدم):

تظهر رحمته ﷺ وشفقته بأمته بالحث على رعاية اليتيم وخدمة الأرملة ومساعدة المسكين.

*فحرصه ﷺ بأمر اليتيم ليس غريبًا فهو الذي ذاق طعم اليتم وعرف إحساسه ويعلم ما يسعد اليتيم وما يحزنه، فقد ولد ﷺ يتيم الأب، وبعد فترة قصيرة ماتت أمه فنشأ وتربى يتيم الأبوين قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى**﴾ وهذا من رحمة المولى عز وجل بنبيه ﷺ أن كفله وآواه ورعاه رب العزة الرحمن الرحيم.

*والأحاديث التي أمر بها أمتهﷺ في كل زمان ومكان بحسن رعاية اليتيم والرحمة به والشفقة عليه كثيرة أذكر منها:

عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى) (٢)، *وقال ﷺ: "خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسنُ إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه) (٣).

والعناية باليتيم والرحمة به مطلب إسلامي حث عليه وأمر به المولى عز

(١) جامع الترمذى كتاب الرضاع باب ما جاء فى حق المرأة على زوجها صـ٢٠٦ وقال أبو عيسى : حديث حسن صحيح .

(٢) البخاري .كتاب الأدب باب فضل من يعول يتيمًا جـ٤صـ٥٢ .

ومعنى (ولغيره) أي: أسواء كان قريبًا له أو بعيدًا .

(٣) أخرجه ابن ماجه كتاب الأدب باب حق اليتيم جـ٢صـ٣٩٧ فى إسناده أبو صالح يحيى بن سليمان ، قال البخارى : فيه منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : مضطرب الحديث .

وجل فالمقصر في حق اليتيم يأثم ويحاسب حسابًا عسيرًا قال تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ*وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾ (١).

فقد بين المولى عز وجل أن الذين كذبوا بيوم القيامة ويوم الحساب كان سبب تكذيبهم ما كان في قلوبهم من غلظة وقسوة وحب للدنيا حتى أنهم كانوا يدفعون اليتيم دفعًا عنيفًا ليس فيه رحمة ولا شفقة وكانوا يتلذذون بالطعام ولا يعطون منه المسكين المحتاج، وقال تعالى: ﴿**وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا** ﴾ (٢). فقد جعل المولى عز وجل أخذ مال اليتيم ذنبًا كبيرًا عظيمًا.

وحث النبي ﷺ أمته على رعاية ورحمة الأرملة والمسكين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله) (٣).

يقول الشيخ سيد سابق: لماذا عني الإسلام بشأن هؤلاء الضعفاء (أولاً: لأن أول واجب إنساني نحو الضعفاء من اليتامى والأطفال والنساء والخدم: الرحمة، التي تتمثل في الرفق بهؤلاء والحنو عليهم والمساهمة الفعالة في تخفيف آلامهم، ودفع ما ينزل بهم من ضرر وجور، ولأنهم أناسي، ومن حق الإنسان أن تصان كرامته ويأخذ حقه كاملاً غير منقوص.

ثانيًا: لأنهم يمثلون الأكثرية في كل مجتمع، والمجتمع الصالح لابد له من رعاية لهؤلاء ؛ لأنهم قوة بشرية يمكن الانتفاع بها لو أحسنت رعايتها، ووجهت الوجهة الصالحة لاستخراج ما فيها من قوى وطاقات.

---

(١) سورة الماعون الآيات ١ : ٣ .

(٢) سورة النساء الآية ٢ .

(٣) مسلم . كتاب الزهد والرقائق . باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين جـ٤صـ ٢٢٨٦ .

ثالثًا: إن رعاية هؤلاء، تقي المجتمع من أن يتعرض للهزات التي تـؤثر فـي كيانه،وتقيه شر التمرد عليه، والإسلام بعد أن رفع عنهم الظلم وأنـزلهم المنزلـة اللائقة بهم كأناسى لهم كرامتهم،جعل لمن لا مال له حقًا في مال الغني قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ* لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (١) (٢).

* ومن مظاهر رحمته ﷺ رحمته بالخدم * روي عن أنس مولى رسول الله ﷺ خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أفًا قط ولا قال لي لشيء:لِمَ فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا) (٣). وعن أنس رضي الله عنه كان خدم المدينة يأتون رسول الله ﷺ إذا صلى الغداه، أتوا بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتي بإناء إلا غمس يـده فيهـا فربما جاؤوه في الغداة الباردة) (٤).

علاج قسوة القلب:

وكـان ﷺ يعالج قساة القلب ومـن لا يحـسنون القول،بالرحمـة النبويـة الشريفة التي ركزها في قلبه المولى عز وجل، فهي تشمل جميع الخلق، المحـسن منهم والمسيء، *روي أن أعرابيًا جاءه يطلب منه شيئًا فأعطاه ثم قـال: أحـسنت إليك؟ قال الأعرابي:لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إلـيهم أن كفوا،ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه وزاده شيئًا ثم قال: أحسنت إليك، قال: نعـم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا، فقال له ﷺ إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يـذهب مـا فـي صدورهم عليك قال نعم، فلما كان الغد أو العشي جاء، فقـال النبـي ﷺ إن هـذا

(١) سورة المعارج الآية ٢ .

(٢) إسلامنا لسيد سابق صـ ٢٤٩ ــ ٢٥١ بتصرف .

(٣) مسلم .كتاب الفضائل .باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا جـ٤صـ ١٨٠٤ .

(٤) مسلم .كتاب الفضائل .باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به جـ٤صـ ١٨١٢ .

الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضى أكذلك ؟ قال: نعم، فجـزاك الله مـن أهل وعشيرة خيرًا فقال ﷺ: مثلي ومثل هذا، مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورًا فناداهم صاحبها، خلو بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم، وأعلم، فتوجه لها بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردها حتى جـاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل مـا قال فقتلتموه دخل النار) [1].

*وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا بال في المسجد فثار إليه النـاس ليقعوا بـه، فقال لهم رسـول الله ﷺ: دعوه وأهريقوا

على بوله ذنوبًا من ماء أو سجلاً من ماء، فإنما بعثتم ميـسرين ولـم تبعثـوا معسرين) [2].

الحث على التراحم:

ومن رحمته ﷺ أن حث أمته أن يتراحموا فيما بيـنهم وأن يـشعر الغنـي بالآلام التي يشعر بها الفقير، وعلمهم كيف يرحمون ذوي الحاجات، وإعطائهم مما أعطاهم المولى عز وجل، *عن جابر بن عبد الله البجلي رضى الله عنه، قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاء قوم عراة مجتابي النمـار [3] أو العبـاء متقلدي السيوف عامَّتهُمُ من مُضَرَ، فتمعر [4] وجه رسـول الله ﷺ لمـا رأى مـن

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في علامات النبوة . باب في حسن خلقه وحيائه وحسن معاشرته جـ٩صـ ١٥ وذكره القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى باب الشفقة والرحمة جـ١صـ ١١٤ .

(٢) البخاري .كتاب الأدب .باب يسروا ولا تعسروا جـ٤صـ ٦٩ .

(٣) مجتابي النمار : النمِرَة : بردة مخططة والنمرة : بردة من صوف يلبسها الأعراب . لسان العرب جـ٦صـ ٤٥٤٦ .

(٤) تمعر وجه: تغير وعلته صُفَرة وأصله : قلة النضارة وعدم إشراق اللون .لسان العرب جـ٦صـ ٤٢٣١ .

الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن، وأقام، فصلى، ثم خطب فقال: ﴿يَـا أَيُّهَـا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَـثَّ مِنْهُمَـا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ (١).

والآية التي في الحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَـدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢) تصدق رجل من ديناره، من درهمـه، مـن ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل مـن الأنصار بصُرَّة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت،قال ثم تتابع الناس حتـى رأيـت كومين من طعام وثياب،حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مُذهَبَةٌ،فقال رسـول الله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)(٣).

ومن رحمته ﷺ أن جعل نفسه الشريفة مثل الوالد لولده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إنما أنا لكم مثل الوالد لولده) (٤).

هـ- من مظاهر رحمته ﷺ الحث على صلة الرحم:

بين لنا رسول الله ﷺ أن صاحب القلب الرحيم لابد وأن يتحلى بخلـق صـلة

---

(١) سورة النساء الآية ١ .

(٢) سورة الحشر الآية ١٨ .

(٣) مسلم . كتـاب العلم . بـاب مـن سـن سنة حسنة أو سيئة جــ٤ صــ٢٠٥٩ ، ٢٠٦٠ بلفـظ مقـارب ، وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده جــ٣١صــ٥٠٩ ، ٥١٠ واللفظ له وفيه الحديث صحيح على شرط مسلم .

(٤) ابن ماجه كتاب الطهارة باب الاستنجاء بالحجارة جــ١صــ١١٤ واللفظ له ،وأخرجه أبو داود كتـاب الطهـارة باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة جــ١صــ١٧ بلفظ (إنما أنا لكم بمنزلة الوالـد أعلمكـم ..) والحـديث إسناده حسن .

الرحم،فمن وصل رحمه وصله الله، ومن قطع رحمه قطعه الله، *عن أبي هريــرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ (١): " إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقــه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم أما ترضين أن أصــل مــن وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى، قال فهو لك. قال رسول الله ﷺ فاقرأوا إن شئتم ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ (٢).

وصلة الرحم مطالب بها المسلم في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم * أُوْلَئِكَ الَّــذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾ (٣).

ووصف المولى عز وجل المؤمنين أهل الجنة،بأنهم يصلون ما أمر الله بــه أن يوصل، ويدخل في ضمن ذلك صلة الرحم قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَــصِلُونَ مَــا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ**﴾ (٤) وأعد الله تعالى لهم: ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ** ﴾ (٥).

ووصف الله عز وجل من يقطعون ما أمر الله به أن يوصل بأن لهــم العــذاب الشديد وعليهم لعنة الله. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْــدِ مِيثَاقِــهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُــمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ (٦) ، وجاءت سنة النبي ﷺ مؤكدة لما جاء في كتاب الله تعالى ومبينة

(١) البخاري . كتاب الأدب .باب من وصل وصله الله جـ٤صـ٥٠ .
(٢) سورة محمد الآية ٢٢ .
(٣) سورة محمد الآيتان ٢٢ ــ ٢٣ .
(٤) سورة الرعد الآية ٢١ .
(٥) سورة الرعد الآية ٢٣ .
(٦) سورة الرعد الآية ٢٥ .

جزاء وعظيم ثواب من يصل رحمه، *عن سلمان بن عامر رضـــى الله عنـــه أن النبي ﷺ قال: الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة)[1].

وكثير من الناس يفهم أن صلة الرحم هو أن نصل من وصـــلنا، فـــإذا قطعنـــا قطعناه،وليس هذا ما طالبنا به الشرع،ولا ما حثنا عليه رسول الله ﷺ بل بين لنا أن الواصل هو الذي إذا قطعته رحمه وصلها، *عن عبد الله بن عمرو بـــن العـــاص رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس الواصل بالمكافئ ولكـــن الواصـــل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)[2].

واصل رحمه له من الثواب العظيم في الدنيا والآخرة، فثوابه في الدنيا أن يبسط الله له في الرزق فيوسعه عليه،ويبارك له فيه، ويطيل في عمره، *عن أنـــس بـــن مالك رضي الله عنه قال: قال رســـول الله ﷺ: مـــن أحب أن يُبسط له فـــي رزقه وينسأ له في أثره [3]، فليصل رحمه) [4].

وأفضل الصدقة والبر ما كان منهما على الأرحام والأقربين، فهم أقرب النـــاس بالمعروف والإحسان إليهم،عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبـــو طلحـــة أكثـــر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء [5]، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلـــت هـــذه الآية: ﴿ **لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [6].

قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول:

---

(١) جامع الترمذى كتاب الزكاة باب ما جاء فى الصدقة على ذى القرابة صـــ١٢٨ . قال أبو عيسى : حديث حسن.

(٢) البخاري .كتاب الأدب . باب ليس الواصل بالمكافئ جـــ٤ صـــ٥٠ .

(٣) ينسأ : أي يؤخـــر ، والنسيء هـــو التأخير ، والمراد من الأثر : الأجل والعمر .

(٤) مسلم . كتاب البر والصلة . باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها جـــ٤صـــ ١٩٨٢ .

(٥) بيرحاء : اسم لحديقة من نخل ، ومعنى بخ : تعظيم الأمر وتفخيمه .

(٦) سورة آل عمران آية ٩٣ .

﴿ لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب مالي إلي (بيرحاء) وإنها صدقة لله تعالى، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين)[١]. فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسم حديقته هذه في أقاربه وبنى عمه.

وعن أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله ﷺ أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال النبي ﷺ:" تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم) [٢].

فصلة الرحم ظاهرة ترجع إلى جملة من الأسس الأخلاقية منها الرحمة، والأحاديث السابقة تبين لنا مدى أهميتها في حياة المسلمين بها تتجمع الجماعات الإسلامية، وبها تتألف القلوب، وبها يكون التكافل الأسري والاجتماعي بين الأسرة الواحدة، وبين المجتمع الإسلامي كله، وهي من موجبات الجنة، وهي من علامات رضي المولى عز وجل ورضي رسوله ﷺ، وصلة الرحم مما يكافئ الله عز وجل بها عباده في الدنيا ببسط الرزق وإطالة العمر، وهو ثواب زائد على ثواب الآخرة.

و ـ ومن مظاهر الرحمة التي حثنا عليها القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ: إكرام الجار، والإحسان إليه، وحفظ حرمته:

وردت آيات كثيرة تأمر بالتراحم بين الجيران وحسن معاملتهم. قال تعالى: **﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى**

---

(١) مسلم .كتاب الزكاة .باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد جـ٢صـ ٦٩٣ ، ٦٩٤ .

(٢) البخاري .كتاب الأدب . باب فضل صلة الرحم جـ٤صـ ٤٩ .

وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ [١] أمر الله تعالى في الآية الكريمة بالإحسان إلى الجار القريب والجار الذي بينه وبين جاره قرابة رحم وجاءت السنة النبوية تؤكد وتبين ما جاء في كتاب الله عز وجل.

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: ما زال

جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) [٢]. ومعنى أنه سيورثه: أن حق الجار وصل إلى حق الأقارب الذين فرض الله لهم حقوقًا في الميراث، وهذا يدل على عظم حرمة الجار. وعن أبي شريح رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: مَنْ يا رسول الله ؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه) [٣].

ومعنى بوائقه: شروره ومفاسده، وقيل: هى الداهية والشىء المهلك والأمر الشديد الذى يوافى بغته) [٤]، ونهي النبي ﷺ عن إيذاء الجار وجعله علامة وسمة لمن يؤمن بالله واليوم الآخر، *عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت) [٥].

ومن وصايا الرسول ﷺ لأصحابه مراعاة شعور الجيران في أدق الأشياء ومنها التهادي بينهم في المآكل والمشارب والمناسبات السعيدة * عن أبي ذر رضي الله

(١) سورة النساء الآية ٣٦ .

(٢) مسلم .كتاب البر والصلة .باب الوصية بالجار جـ٤صـ ٢٠٢٥ .

(٣) البخاري .كتاب الأدب .باب إثم من لا يأمن جاره بوايقه جـ٤صـ٥٣ .

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١٠صـ٤٥٧ .

(٥) مسلم .كتاب الإيمان .كتاب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت جـ١صـ ٦٨ .

عنـــه قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فـــأكثر ماءهـــا وتعاهـــد جيرانك) [1]، ومن الإحسان وصلة التراحم بين الجيران يأمر الرسول ﷺ المسلم أن يأذن الجار لجاره بأن يستخدم جداره، فيحمل عليه خشبه من أخشاب ســـقفه قـــال رسول الله ﷺ:" لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبه في جداره)[2].

(١) مسلم .كتاب البر والصلة .باب الوصية بالجار جـــ٤صـــ ٢٠٢٥ .

(٢) مسلم .كتـــاب المساقاة .بـــاب غرز الخشب فـــي جدار الجار جـــ٣صـــ١٢٣٠.

الفصـــل الرابع

قســـوة القلـــــب

أمر المولى عز وجل المسلمين بالرحمة في صور شتى بينهـــا فـــي كتابـــه العزيز، وبما جاء في سنة نبيه ﷺ، ومدح المولى عز وجل الذين في قلوبهم رحمة، والمباحث السابقة وضحت هذا الخُلق العظيم، ولقد رأيت أن أتحدث عن صفة ذميمة ذمها ونهي عنها المولى عز وجل في كتابه،وهذا الخُلق هو: قسوة القلب. والقلـــب القاسي: هو القلب الذي نضبت منه عاطفة الرحمة،والقلوب القاســـية لا تقبـــل ولا تحب الحق والواجب، فسمة القلوب المتحجرة الغليظة عدم الانصياع لما أمرت بـــه ونهيت عنه، ولقد ذم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الذين قست قلوبهم فـــي مواطن كثيرة أذكر منها.

١ ـ ذم القرآن الكريم لقساة القلوب:

أ ـ تصوير القلوب القاسية بأنها أشد من الصخور الصماء:

قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ (١) صور المولى عز وجل في الآية الكريمة القاسية قلوبهم بثلاث حالات للصخور القاسيات الصماء وأن القلوب القاسية أشد في صورتها من هذه الحالات الثلاث للصخور لأن مـــن هـــذه الصخور ما يتفجر من الأنهار ومنها ما يشقق تشققًا دون أن ينفجر منـــه الأنهـــار ومنها الأحجار المرتفعة التي ما إن تتعرض لهزات فتهبط إلى أسفل،والآية فيها من

(١) سورة البقرة الآية ٧٤ .

البلاغة والبيان بتصوير حال القاسية قلوبهم وذمهم،لأن هذه الحجارة لــو ســمعت آيات الله تعالى وما فيها من الحق لصدعت وهبطت من خشية الله تعالى،أما القاسية قلوبهم المستكبرة قلوبهم الخالية من الرحمة والخشية فهي لا تؤمن بما جــاء فــي كتاب الله تعالى ولا تؤمن برسولهﷺ،والآية وإن كانت بمعرض الحديث عن أهــل الكتاب من بني إسرائيل، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية تنطبق في وصفها وذمها لكل القاسية قلوبهم في كل زمان وفي كل مكان،ووصف القلوب بالصلابة والغلظة يراد منه نُبُوها عن الإعتبار وعدم تأثرها بالمواعظ،قــال أبــو السعود:القسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة،كما في الحجر،اســتعيرت لِنُبُــوَّ قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين الصخور) [(1)].

ب ـ نقض الميثاق يصيب القلب بالقسوة:

وقال تعالى: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ...** ﴾ [(2)].

في الآية الكريمة بيان من المولى عز وجل عن السبب الذي جعل بني إسرائيل تقسو قلوبهم،وهو بسبب نقضهم ميثاقهم وهو السبب الذي بسببه طردهم المولى عز وجل من رحمته فأصبحت قلوبهم قاسية غليظة تفعل المعاصي ولا تتــأثر قلــوبهم لهذه المعصية، ومن معاصيهم تحريفهم كلام الله تعالى، ونسوا ما أمرهم به المولى عز وجل، والآية كما قلنا من قبل في الآية السابقة نزلت في بني إسرائيل، ولكــن معناها يصدق على كل ناقض للعهد والمواثيق أن يطرد مــن رحمــة الله تعــالى فيصبح قاسي القلب، وفي بيان هذا بيان لسنة من سنن الله فــي تكــوين القلــوب

(١) تفسير إرشاد العقل السليم جــ١صــ ٩٠ .

(٢) سورة المائدة الآية ١٣ .

والنفوس فمن استغرق في المعاصي، ونقض مواثيقه مع ربه، طرده الله من صنوف أهل التقوى، فابتعد عن مهابط رحمة الله، فقسا قلبه، وتابع مسيرته المظلمة الظالمة حتى كان من أصحاب الجحيم [1].

جـ- ذكر الله تعالى يورث خشوع القلب وطول الأمل يورث قسوة القلب:

قال تعالى:﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [2] الآية فيها بيان أن ذكر الله تعالى سببًا لرقة القلوب،ولينها وخشوعها، فذكر الله تعالى يغذي القلوب بالرحمة، والخشية، فتلين بهذا الذكر، وقراءة القرآن الكريم تلين القلب كذلك وهو قوله تعالى: ﴿ **وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ** ﴾ أي ما جاء في كتابه العزيز من الحق والخير للإنسان، وعلامة أثر هذا الذكر في القلب هو الخشوع لله تعالى، والرحمة بعباده وحين يصل القلب لهذه الرقة والخشوع لابد وأن يملأ قلبه الرحمة والشفقة على خلق الله تعالى، وخلا قلبه من القسوة على عباد الله تعالى، فالآية جمعت بين الأسباب المؤدية إلى خشوع القلب وهي الذكر وقراءة القرآن الكريم والعمل بما جاء فيه من أوامر نواهي، والأسباب المؤدية إلى قسوة القلب وهي ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ في تفسير طول الأمد وجوه أحدها: طالت المدة بينهم وبين أنبيائهم فقست قلوبهم. ثانيها: قال ابن عباس رضي الله عنه مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله. وثالثها: طالت أعمارهم في الغفلة فحصلت القسوة في قلوبهم بذلك السبب. ورابعها: قال ابن حبان: الأمد ههنا الأمل البعيد،والمعنى:طال عليهم الأمد بطول الأمل،أي لما طالت

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها جـ٢صـ ٨٣ .

(٢) سورة الحديد الآية ١٦ .

آمالهم لا جرم قست قلوبهم) [(١)].

د ـ عدم الاتعاظ بالابتلاء يورث قسوة القلب:

وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ* فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [(٢)] يخبرنا المولى عز وجل أن من علاجات الأمم القاسية قلوبهم أن تنزل بها الآلام والمصائب والفقر والجوع ونقص الأموال فلعل هذه المصائب ترجعهم إلى خالقهم فتلجأ إليه وتتضرع إلى ربها وتلين قلوبهم وتعمرها الرحمة، ولكن هناك من الناس من لا يعتبر ببلاء المولى عز وجل له ويتبع خطوات الشيطان فيبعده عن رحمة الله التي بها يرفع البلاء،وإتباع الشيطان لا يزيد الإنسان إلا قسوة وبعدًا عن الله تعالى فتكون نهايته الهلاك والعذاب في الدنيا والآخر.

هـ ـ الغفلة عن ذكر الله تعالى يزيد القلب قسوة وضلال:

قال تعالى: ﴿ **أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[(٣)].

الآية الكريمة تبين صنفين من الناس، الصنف الأول: الذي شرح الله تعالى صدره للإسلام فامتثل لما فيه من الأوامر والنواهي فهو على نور من ربه، هذا النور الذي ملأ قلبه بالطمأنينة والحب والرحمة فهو في خير إلى يوم الدين، والصنف الثاني: الذي لم يشرح الله صدره للإسلام، ولم يلن قلبه لذكر الله تعالى وقسا قلبه وامتلأ كراهية وحقد فهو في ظلمات الطرد من رحمة الله تعالى فيصبح

---

(١) تفسير الفخر الرازي جـ٢٩ صـ٢٣٠ .

(٢) سورة ألأنعام الآيتان ٤٢ ــ ٤٣ .

(٣) سورة الزمر الآية ٢٢ .

تائهًا ضالاً متحيرًا لا يسير على هدي،وقد نبه المولى عز وجل على سوء عاقبة الصنف الثاني بقوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم** ﴾ ففيه التحذير والإنذار لمن قسا قلبه لبعده عن ذكر الله تعالى.

٢ ـ ذم قساة القلوب فى السنة النبوية المطهرة:

وكما وردت الآيات بذم القاسية قلوبهم جاءت السنة النبوية الشريفة تؤكد هذا الذم والتوبيخ لأصحاب القلوب القاسية المنزوعة الرحمة.

*عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق يقول: (لا تُنزع الرحمة إلا من شقي) [(١)].

*وقال رسول الله ﷺ: (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي) [(٢)].

*روي البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) [(٣)]. ومعنى خشاش الأرض: هوامها وحشراتها.

*وروي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه:أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم،فلما رأوا ابن عمر تفرقوا قال ابن عمر رضي الله عنه: (من فعل هذا ؟ لعن الله من

(١) جامع الترمذى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى رحمة الناس صـ٣٢٤ ، وقال أبو عيسى : حديث حسن.

(٢) جامع الترمذى كتاب الزهد باب ما جاء فى حفظ اللسان صـ٣٩٤ ، وقال أبو عيسى : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن زيد بن خنيس .

(٣) مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذى لا يؤذى جـ٤صـ٢٠٢٢ .

فعل هــذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا) [1].

*عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل النبي ﷺ الحسن بــن علــي وعنــده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا فنظــر إليه رسول الله ﷺ فقال: (من لا يرحم لا يُرحم) [2].

(١) مسلم كتــاب الصيد والذبائــح بــاب النهى عن صبر البهائم جــ٣صــ١٥٥٠ (معنـــى صــبر البهائـــم أن تحبس وهـــى حية لتقتل بالرمى ونحوه) .

(٢) البخاري .كتاب الأدب .باب رحمة الولد وتقبيله جــ٤صــ٥١ .

الفصل الخامس
الرحمة مع غير المسلمين
من منظور إسلامي

الدين الإسلامي هو الدين الجامع للمبادئ والأخلاق الإنسانية فعندما يطالب الإسلام المسلمين بالرحمة فيما بينهم يطلبها أيضًا لغير المسلمين في كل زمان وفي كل مكان. فالجميع سواء في الإنسانية، والكل شركاء مع المسلمين في إعمار الكون والتعايش السلمي للبشرية كافة، والإسلام هو الدين الذي يحمي ويحافظ على حقوق غيره من الملل الأخري.

يقول الدكتور سليم العوا: "جعل الدين الإسلامي غير المسلمين شركاء مع المسلمين فى الوطن منذ كانت للإسلام دولة، دولته الأولى في المدينة المنورة، ودوله التي توالت أيامها بعد انتقال النبيﷺ إلى الرفيق الأعلى وحتى يومنا هذا، ومن حكمة الله سبحانه وتعالى في الاجتماع البشري أن يتجاور فيه جماعات من الناس مختلفين في الألسنة والألوان قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾ (١).

فالبشرية جميعًا إخوة لأب واحد وأم واحدة، وإن تباعد بمعاني هذه الإخوة الإنسانية طول الأمد بين الأصول والفروع) (٢).

ولقد أمرنا المولى عز وجل بالتحلي بالصفات السامية، ومنها خلق الرحمة،والتعايش مع غير المسلمين،باعتبار أن البشر جميعًا خلق الله تعالى، وبيّن

(١) سورة الروم الآية ٢٢ .

(٢) الأقباط والإسلام تأليف سليم العوا نقلاً عن التسامح الإسلامى مع غير المسلمين تأليف / أحمد على خضر صـ٦١ .

المولى عز وجل هذه الحقيقة في أكثر من آية في القرآن الكريم وجاءت سنة النبي ﷺ تؤكد وترسخ هذه الحقيقة وهي أن رب العالمين هو الله عز وجل، وأنه الخالق للعباد جميعًا بكل أجناسهم وأديانهم، والذي وضع المبادئ والأخلاق للتعامل مع جميع البشر هو المولى عز وجل هذه المبادئ والأخلاق المبنية على الرحمة واليسر وحق الاطمئنان والأمان لكل شخص في هذا الكون. فالأب واحد والأم واحدة. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء** ﴾ [1].

فالآية الكريمة الخطاب فيها لجميع الناس، مسلمين وغير مسلمين تؤكد لهم حقيقة لا ينكرها أحد، أننا جميعًا من نفس واحدة، والمراد بها آدم عليه السلام وقوله تعالى: ﴿ **وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ هي حواء عليها السلام أم جميع البشر.

ويقرر الإسلام في نداء رباني لجميع البشرية أن البشر جميعًا خلقهم المولى عز وجل ليتعارفوا فيما بينهم،وجعلهم مختلفين في الجنس واللون والديانة،وهذا الاختلاف لا يمنعهم من التعايش بينهم،وانتشار الرحمة والمحبة والسلام فيما بينهم،وأن الأفضلية لمن كان على تقوى لربه وخالقه قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [2] والخطاب في الآية للناس كافة، وأن اختلاف الشعوب والقبائل والألسنة والألوان هو من سنن الله في خلقه وهو سبحانه وتعالى العليم الخبير

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ**

---

(١) سورة النساء الآية ١ .

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (١) فالعدالة مع غير المسلمين مطلب إسلامي وحق طبيعي للإنسان دون النظر إلى جنسه أو لونه أو دينه.

ونرى في هذه الآية الكريمة معالجة للقلوب واستمالتها إلى الإيمان بعد أن تشعر بالمحبة والرحمة والعدل والأمان فلا تجد أمامها إلا أن ترى النور والرحمة والطمأنينة في هذا الدين.

ولقد جعل المولى عز وجل رسالة سيدنا محمد ﷺ إلى الناس كافة وإرساله رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ**﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (٣) وصدق الله العظيم فهوﷺ رحمة للعالمين، قال أبو موسى الأشعري رضى الله عنه للنبي ﷺ أكثرت يا رسول الله من ذكر الرحمة وإننا نتراحم فيما بيننا. فقال ﷺ: " إنما أريد الرحمة بالكافة ".

فالرحمة التي يطلبها النبي ﷺ ليست الرحمة والشفقة بالمسلمين فقط وإنما الرحمة والشفقة التي تتجه إلى الإنسانية كافة في كل زمان وفي كل مكان.

ولقد أكد رسول الله ﷺ هذه الأخوة الإنسانية في أقواله وأفعاله، قال ﷺ: (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي،ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى) (٤).

ومما يؤكد حرص الإسلام على مبدأ الأخوة الإنسانية بين البشر جميعًا،إخوة

---

(١) سورة المائدة الآية ٨ .

(٢) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(٤) مسند الإمام أحمد جـ٣٨صـ٤٧٤ والحديث إسناده صحيح ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية جـ٣صـ١٠٠ عن أبى نضرة عن جابر رضى الله عنه ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ٣صـ٤٤١ .

مبنية على الرحمة والتعاون وتمتع غير المسلمين بحقوقهم، وحريتهم في ظل الدين الإسلامي، ومبادئه العادلة الرحيمة بجميع خلق الله عز وجل.

هذا الحرص نجده في آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل، وفي سنة نبيه محمد ﷺ، وسوف أتناول هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في نقاط توضح هذا المعنى ألا وهو (الرحمة واليسر والتعاون والحرية لغير المسلمين).

١ ـ الإسلام يدعو إلى الإيمان بجميع الأنبياء:

الإسلام يدعو المسلمين إلى الإيمان بالرسل أجمعين، وجعل الإيمان بالرسل السابقين جزءًا من العقيدة الإسلامية، وأمرنا بألا نفرق بين أحد منهم قال تعالى: **﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** (١).

فالإسلام هو الدين الجامع لما في الرسالات السابقة والمكمل لها قال تعالى: **﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾** (٢).

٢ ـ النهي عن الإكراه في الدين:

حرص الإسلام على ألا يكره أحدًا على اعتناق الإسلام، فمن أسلم في صدر الإسلام، أسلم عن رضا واقتناع، والإسلام أسس على المنطق والحجة والبرهان لا على الإكراه. قال تعالى: **﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** (٣)، وقال تعالى: **﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء**

(١) سورة البقرة الآية ١٣٦ .

(٢) سورة المائدة الآية ٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

فَلْيَكْفُرْ﴾ (١)، وقال عز وجل **﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾** (٢).

وحق غير المسلمين في عدم الإكراه على اعتناق الإسلام أساسه قوله تعالى: **﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾**

قيل أن الآية نزلت في رجل من الأنصار يقال له (الحصيني) كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلمًا، فقال للنبي ﷺ ألا أستكرهم، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية، فأنزل الله فيه ذلك)(٣).

٣ ـ النهى عن العصبية بين الأنبياء:

ونهي النبي ﷺ أن يخيره أحد من الصحابة من بين الأنبياء، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي قد لُطِمَ وجهه، فقال: يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار لطم في وجهي قال ادعوه فدعوه، قال: لم لطمت وجهه ؟ قال يا رسول الله إني مررت باليهودي فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، قال قلت وعلى محمد ﷺ قال فاخذتني غضبة فلطمته، قال ﷺ لا تخيروني من بين الأنبياء) (٤).

٤ ـ حرية أهل الكتاب فى إقامة شعائرهم وحماية معابدهم:

حرص النبي ﷺ على حماية معابد أهل الكتاب وإتاحة الحرية لهم في ممارسة شعائرهم الدينية بدليل أنه لم يمنع وفد نصارى نجران من صلاتهم حين قدموا عليه من اليمن، وعليهم ثياب الحبرة وأردية مكفوفة بالحرير، وفي أيديهم

(١) سورة الكهف الآية ٢٩ .

(٢) سورة يونس الآية ٩٩ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ١صـ ٤٦٤ .

(٤) البخاري . كتاب الجزية . باب إذا لطم المسلم يهوديًا جـ٤صـ ١٩٤ .

خواتيم الذهب، فقاموا يصلون في المسجد نحـو المـشرق فقـال رسـول الله ﷺ لأصحابه: دعوهم، ودعاهم إلى الإسلام فلما أبوا، صالحهم على الجزية، واشـترط عليهم ألا يتعاملوا بالربا وأمنهم على أنفسهم ودينهم وأموالهم)[1].

٥ ـ مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن ومعاملاتهم بالحسنى:

ـ حرص الإسلام على معاملة أهل الكتاب بالحسنى وبالرحمة وعـدم الظلـم لهم،وأمرنا المولى عز وجل في كتابه العزيز بمجادلتهم بالحسنى. قال تعالى: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾ [2]. وجاءت سـنة رسول الله ﷺ تؤكد هذا المعنى وتحث عليه * قال رسول الله ﷺ: (من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا) [3].

* وروي عـن أنس رضي الله عنه أن غلامًا من اليهود كان مـرض، فأتـاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه. فقال له أبواه أطع أبا القاسم فأسلم، فقام النبي ﷺ وهو يقول:" الحمد لله الذي أنقـذه مـن النار) [4].

يبين لنا الحديث السابق أن النبي ﷺ كان يعود المرضى من أهل الكتاب وكـان ﷺ يحضر ولائمهم ويواسيهم في مصابهم، هذه المعاملة الكريمة الرحيمة من النبي ﷺ لغير المسلمين ليبين لأمته أن الحاكم أو الرئيس، أو ولي أمر المسلمين، لابد وأن

---

(١) التسامح في الفكر الإسلامي د/ جعفر عبد السلام صـ١٨٢ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .

(٣) البخاري .كتـاب الجزية . باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم جـ٤صـ١٩٤ .

(٤) أبو داود حديث ٢٦٩١ . كتاب الجنائز .باب في عيادة الذمي جـ٣صـ١٢٥ ، وأخرجه البخارى فـى كتـاب المرضى باب عيادة المشرك بلفظ [أن غلامًا ليهود كان يخدم النبى ﷺ فمرض فأتاه النبى ﷺ يعوده فقال لـه أسـلم فأسلم " جـ٤صـ٤ ..

يعامل غير المسلمين بما يشعرهم أنهم في وطن واحد، وأنهم لا يعاملوا معاملة فيها ظلم وجور واضطهاد، فليس من أخلاق الإسلام ظلم الفئة المستضعفة بـــل تعامـــل بمالها وما عليها.

وقـــد ضرب لنا النبي ﷺ المثل الأعلى في معاملاتهم بالحسنى، ومممـــا هـــــو مأثـــور لدى المسلمين أن النبي ﷺ مات ودرعه مرهونة لدى يهـــودي) [١] ويفهـــم مـــن هذا أن رسول الله ﷺ كان يقترض منهم نقودًا ويرهنهم متاعه، " ولم يكن ذلك عجزًا من أصحابه رضوان الله عليهم عـــن إقـــراضه، فإن بعضهم كـــان ثريًـــا، وكلهم يتلهف على أن يقـــرض رســـول الله ﷺ، بل كان يفعل ذلك تعليمًا للأمـــة، وتثبيتًا عمليًا لما يدعو إليه من سلام ووئام، وتدليلاً علـــى أن الإســـلام لا يقطـــع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم)[٢].

٦ ـ تقرير مبدأ حفظ الكرامة الإنسانية لجميع البشر:

حرص الإسلام على تقرير مبدأ الكرامة الإنسانية لجميع البشر في كل زمـــان، وفي كل مكان،والتكريم الذي منحه المولى عز وجل لخلقه جعله لبني آدم جميعًا،فهم جميعًا إخوة في الإنسانية والتكريم من الله عز وجل،لهم جميعًا بدون استثناء لجنس على جنس قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ [٣].

وقد بين لنا رسول الله ﷺ تنفيذ هذا التكريم عندما قام لجنازة يهـــودي، روي أن النبي ﷺ قام لجنازة يهودي حتى توارت، فلما قيل له إنها جنـــازة يهـــودي، قـــال:

(١) البخاري كتاب الجهاد باب ما قيل فى درع النبى ﷺ جـــ٢صـــ١٥٦ .

(٢) مختارات من سماحة الإسلام د/ أحمد الحوفي صـــ٣٦ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

أليست نفسًا)[1].

٧ـ معاملة غير المسلمين أساسها البر بهم وحفظ حقوقهم:

حرص الإسلام على معاملة غير المسلمين معاملة مبنية على العدل والرحمة والبر بهم وعلى حفظ حقوقهم وعدم إيذائهم. فالإسلام دين الرحمة الشاملة، دين الأخلاق العالية ليس للمسلمين فقط بل لجميع البشر، فالمسلم مطالب في شرائع الإسلام بحفظ حقوق غير المسلم وصيانتها، والأمر ببره ما دام لم يعتد على المسلمين. قال تعالى: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [2].

وجاء في سنة رسول الله ﷺ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: إن أمي راغبة، أفأصل أمي؟ قال نعم صلي أمك)[3].

يأمرنا شرعنا الحنيف لمن كان له أب أو أم مشرك أن يحسن صحبته امتثالاً لأمر الله تعالى وأمر رسولهﷺ.

٨ـ التسامح والسلام مع غير المسلمين مطلب إسلامي:

علاقة المسلمين مع الكافرين تتسم بالسماحة، والسلام، والرحمة، والأمان طالما لم يحدث منهم اعتداء على العقيدة أو الوطن قال تعالى: ﴿ **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [4].

فسماحة الإسلام واضحة جلية لا ينكرها إلا جاحد، والتاريخ الإسلامي به من

(١) مسلم حديث . كتاب الجنائز . باب القيام للجنازة جـ٢صـ٦٦١.

(٢) سورة الممتحنة الآية ٨ .

(٣) البخاري .كتاب الأدب .باب صلة الوالد المشرك جـ٤صـصـ٤٩ .

(٤) سورة ألأنفال الآية ٦١ .

الآثار والمرويات الدالة على هذه الحقيقة الساطعة.

٩ ـ المساواة مع غير المسلمين فى المعاملات العامة:

حرص الإسلام على عدم التفريق بين المسلم والذمي في المعــاملات العامــة، طالب الشرع المسلمين جميعًا بحفظ حقوق الذمي وأن يسوي بينه وبين المسلم فــي الحقوق والوجبات العامة التي تخص كل من يعيش في وطن واحد ومجتمع واحد، فالحكم بين الجميع مبني على العدل والرحمة والمساواة وعدم المحاباة حتــى ولــو كان أحد الخصمين رفيع المكانة والمنزلة من المسلمين والآخر يهوديًا أو نصرانيًا.

فالجميع سواسية أمام القانون والقضاء.

* والسيرة تروي ما يؤكد هــذه الحقيقة، فقــد شكا يهودي عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنــه لعلي رضي الله عنه: قــم يا أبا الحسن فاجلس بجوار خصمك، ففعل عليٌّ،وعلــى وجهه علامات التأثر، فلما فصل عمر رضي الله عنه فــي القضية قال لعليٍّ رضي الله عنــه: أكرهت يا عليُّ أن تساوي خصمك ؟ قال: لا، ولكن تألمت لأنك ناديتني بكنيتي، فلم تسو بيننا، فخشيت أن يظن اليهودي أن العدل ضاع بين المسلمين).

* وروي أبو يوسف في كتاب الخراج: أن عمر مر على قوم قد أقيمــوا فــي الشمس في بعض أرض الشام،فقال: ما شأن هؤلاء ؟ فقيل له: إنهــم أقيمــوا فــي الجزية، فكره ذلك، وقال: هم وما يعتذرون به، قالوا: يقولون: لا نجد. قال دعوهم ولا تلكفوهم ما لا يطيقون، ثم أمر بهم فخلى سبيلهم.

* وروي مسلم فــي صحيحه عــن حكيم بن حزام:أنه مر بالشام على ناس من الأنباط وقد أقيموا في الشمس وصب على رءوسهم الزيت،فقال مــا هــذا ؟ قيــل: يعذبون في الخراج. وفي رواية حبسوا في الجزية،فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول:إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) [١] فدخل علــى الأميــر

(١) مسلم كتاب البر والصلة باب الوعيد لمن عذب الناس بغير حق جــ٤صــ٢٠١٧ .

فحدثه، فأمر بهم فخلوا.

١٠ ـ دعوة غير المسلمين إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة:

ـ أمر الإسلام بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة معهم بالحسنى قال تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ (١)، وقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ* لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾(٢).

١١ ـ حق المشرك أن يجار إذا لجأ للمسلم، والنهى عن نقض العهود والمواثيق معهم:

وأمر المولى عز وجل النبي ﷺ أن يجير المشرك إذا لجأ إليه وهو أمر له ﷺ ولأمته من بعده قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ**﴾ (٣)،وأمرنا المولى عز وجل بالوفاء بالعهود والمواثيق على الإطلاق ولم يخص الوفاء بالعهد مع المسلم دون غيره. قال تعالى: ﴿**وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً**﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿**وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾(٥).

١٢ ـ جواز الصدقة لهم:

تجوز الصدقة على الذمي والحربي، ويثاب المسلم على ذلك، وقد أثنى الله على

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .

(٢) سورة الغاشية الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

(٣) سورة التوبة الآية ٦ .

(٤) سورة الفرقان الآية ١٦ .

(٥) سورة النحل آية ٩١ .

قوم فعلوا ذلك قال تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ [١] فعد ممن يجوز عليهم إطعام الطعام الأسير وهو الأسير الحربي الذي لم يسلم وعلى غير ملة المسلمين.

١٣ ـ إكرام من يأتى منهم إلى دار الإسلام مع حفظ أموالهم وعدم ظلمهم:

حض النبي ﷺ على الرحمة والتسامح مع غير المسلمين وأمرنا بإكرام من يأتي إلينا منهم ما داموا جاءوا مسالمين أو ممن بيننا وبينهم معاهدة وميثاق. قال رسول الله ﷺ:" من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) [٢].

أخرج أبو داود عن رجل عن جهينة أن رسول الله قال: لعلكم تقاتلون قومًا فتظهرون عليهم فيتقونكم بأموالهم دون أنفسهم وأبنائهم، فيصالحونكم على صلح فلا تصيبوا منهم فوق ذلك فإنه لا يصلح لكم) [٣] مما سبق يتبين لنا أن القرآن يحث المسلمين على معاملة غير المسلمين سواء أهل الذمة أو غيرهم معاملة فيها عدل، ورحمة، وإنصاف، وأن الناس أمام الحق سواسية، سواء كانوا يهودًا أو نصارى أو مسلمين.

ولقد كانت عهود النبي ﷺ التي يعقدها مع المشركين ومع اليهود

والنصارى مثلاً للعهود العادلة التي لا تظلم المعاهد ولا تنتقص من حقه بل يأخذ ماله،ويعطي ما عليه، فالعهود مبنية كما أمر المولى عز وجل على العدل والمساواة والأخلاق السامية،ولن يجد أحد أكرم وأرحم من النبي ﷺ في عهوده مع

(١) سورة الإنسان الآية ٨ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي جـ٥صـ ٢٠٥ .

(٣) رواه أبو داود . كتاب الخراج والفيء والإمارة . باب فى تعشير أهل الذمة جـ٢صـ٢٢٣ .

غير المسلمين ولا عجب فى ذلك فهو من قال فيه ربه عز وجل: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (١). وضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى في هذه الرحمة وفي العقل والحكمة في صلح الحديبية. فقد جاء في نص شروط الصلح: " دعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن أكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: أكتب باسمك اللهم فكتبها، ثم قال: أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن أكتب اسمك واسم أبيك فقال رسول الله ﷺ أكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكفُ بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأتممت بها ثلاثًا، معك سلاح الراكب، السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها)(٢) قبل رسول الله ﷺ هذه الشروط في سبيل الأمن والسلامة، وعاد في العام المقبل، وكان هذا الصلح سببًا للأمن وانتشار الدعوة الإسلامية في أماكن كثيرة من الجزيرة العربية.

وسمي الصلح فتحًا مبينًا لأن الصلح صار سببًا لفتح مكة.

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ٤صـ ٢٧٥ ـ ٢٨٠ بتصرف ، وأخرجه البخارى. كتاب الشروط . باب ما يجوز من الشروط فى الإسلام والأحكام والمبايعة جـ٢صـ١٢١ بلفظ مقارب .

قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا كلامهم وتمكــن الإسلام مــن قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلــق كثيــر وكثر بهم سواد الإسلام) (١).

وعندما تم فتح مكة تجلت رحمة رسول الله ﷺ بالضعفاء فقال لهم وهو المنتصر الذي طرد مــن موطنــه وأوذي كثيرًا، قال لهم: ما ترون أني فاعل بكم، قــالوا: خيــرًا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

١٤ ـ وصيته ﷺ بأهل الكتاب وخاصة أهل مصر:

ــ حرص النبي ﷺ ألا يجبر أحد من النصارى أو اليهود على ترك دينه وذلك بعد أن قويت الدولة الإسلامية في عصره ﷺ بل كان من أخلاقه الرحيمة الكريمــة أنه كان ينبه رسله إلى من يدعونه إلى التسامح وعدم جبرهم على الإسلام، فقد كتب ﷺ إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه عامله إلى اليمن "من كان علــى يهوديــة أو نصرانية فلا يفتن عنها. وأن من لم يسلم يدفع الجزية مقابل الدفاع عنه وعن أرضه ولا يكره على اعتناق الإسلام.

روي البخاري أن المغيرة قال يوم نهاوند أمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية) (٢).

ــ أحل الإسلام أن يتزوج المسلم النصرانية أو اليهوديــة وتبقى على دينهــا. قال تعالى: ﴿ **وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ** ﴾ (٣).

ولقد تزوج النبي ﷺ السيدة مارية القبطية وهي من أقباط مصر وأنجب منها

(١) تفسير روح المعاني جـ٢٦ صـ٨٤ .

(٢) البخاري .كتاب الجزية .باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب جـ٢صـ ٢٠١ .

(٣) سورة المائدة الآية ٥ .

ولده إبراهيم، وقد أوصى النبي ﷺ بالأقباط خيرًا، روي عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط،فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحمًا أو قال "ذمة وصهرًا " [١].

(١) مسلم .كتاب فضائل الصحابة .باب وصية النبي ﷺ جـ٤ صـ١٩٧٠ . (ذمة) الذمة هى الحرمة والحق و(رحما) الرحم لكون هاجر أم إسماعيل عليه السلام منهم ، (صهرا) الصهر لكون مارية القبطية زوجة النبى ﷺ وأم إبراهيم ابن النبى ﷺ منهم .

الفصل السادس
شهادات من غير المسلمين
بعظمة رحمة الإسلام

لقد عبر كثير من المستشرقين المنصفين ما وجدوا في تعاليم الإسلام مـــن رقي وحضارة وعدالة وأمان ما لم يجدوه في أديان أخرى، وما وجدوه في عظمـــة الإسلام في معاملة غيرهم من جميع الأجناس، ولذلك عملوا جادين على الرد على كل الافتراءات التي تقال عن الإسلام، وهذه بعض الشهادات التي تؤكد مكانة الدين الإسلامي وما له من أثر في حياة البشرية.

ــ يقول تولستوى مشيدًا بعظمة الإسلام ونبيه ﷺ "من فضائل الدين

الإسلامي أنه أوصى خيرًا بالمسيحيين واليهود ورجال الدين، وقد بلغ من حُسن معاملته لهم أنه سمح لأتباعه بالتزويج من أهل الديانات الأخرى، ولا يخفى علـــى أصحاب البصائر العالية ما في هذا

من التسامح العظيم، ورجل مثله جدير بالإجلال والاحترام) (١).

ــ قال برناردشو: إنني أعتقد أن رجلاً كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم أجمع لتم له النجاح في حكمه، ولقاده إلى الخير ولحل مشاكله على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة) (٢).

ــ يقول د / فليب حتى فـــي تعريفه للإسلام بأنـــه "حضارة عامة

شاملة تنظم كل من يعيش تحت سمائها في حرية وصفاء ويعيش غير المسلمين

(١) المستشرقون د/زكريا هاشم صـــ٦٥ ،٦٦ .

(٢) المصدر السابق صـــ٦٣ .

مع المسلمين على قدم المساواة تربطهم روابط المحبة والأخوة) [1].

ـ يرى القس ميشو: أن القرآن له الأثر الكبير في أهله فقد أمرهم بالجهاد وفي نفس الوقت أوجب عليهم التسامح في كل الأحوال كما يرى أنه من العـار علـى الشعوب المسيحية ألا تتعلم السماحة من المسلمين فيقول:إن القـرآن الـذي أمـر بالجهاد متسامح نحو إتباع الأديان الأخرى وقد أعفى الرهبان والبطارقة وخـدمهم من دفع الجزية، وحرم قتلهم لعكوفهم على العبـادة ومـن المؤسـف ألا تقتـبس النصرانية من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم واحتـرام عقائـد الآخرين وعدم فرض أي معتقد عليهم إكراهًا) [2].

(١) سماحة الإسلام صـ ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) التسامح في الفكر الإسلامي نقلاً عن منار الإسلام لسنة ١٤١٨هـ صـ ١١٧ ـ ١١٨ .

الخاتمـــــــة

الحمد الذي تلطف بعباده وأفاض على قلوبهم أنواره وألطافه، وصـــلى الله على سيدنا محمد رسول الله الذي بعثه رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَــلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (١) وأعطاه اسمين من أسمائه: رؤوف، رحيم قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَــيْكُم بِــالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ (٢)،والصلاة والسلام على آله الطيبين صلاة تنجينا بركاتها يـــوم القيامـــة، وعلى صحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد هذه المعايشة لموضوع الرحمة أوجز ما تناولـــه البحـــث بـــالعرض والبيان:

١ ــ أن المسلم كما هو مطالب بالعقيدة الصحيحة وبإقامة العبادات والمعاملات على الوجه الصحيح هو أيضًا مطالب بالتحلي بالأخلاق الحسنة.

٢ ــ ورود الآيات الكثيرة في القرآن الكريم التي تحث وتدعوا إلى خلق الرحمة باعتبار هذا الخلق أصلاً من الأصول الخلقية.

٣ ــ ورود الأحاديث النبوية الشريفة الكثيرة التي تبين وتوضح حقيقة الرحمة وأهميتها في حياة المسلمين، وهذه الأحاديث النبوية الشريفة منها ما هو قول للنبي ﷺ يرغب ويحث وينبه على التحلي بخلق الرحمة، ومنها ما هو فعل للنبي ﷺ يدل على مدى رحمته ﷺ، ورقة قلبه مع كل من تعامل معه مسلم أو غير مسلم.

٤ ــ أن خلق الرحمة مرتبط بكثير ممن نتعامل معهم ونتعايش بينهم، فالرحمة مرتبطة بأقرب الناس إلينا وهما الوالدان ومرتبط بصلة الرحم ومرتبط بإكرام اليتيم

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ١٠٧ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٢٨ .

ومرتبط بالفقراء والمساكين والخدم والضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة.

٥ ــ أن خلق الرحمة مرتبط بالمسلمين وبغير المسلمين، فالمسلم كما هو مطالب بالرحمة لأخيه المسلم عليه أيضًا أن يرحم غير المسلمين في مواضع كثيرة كالرحمة بالأسرى والرحمة بأهل الكتاب الضعفاء منهم والمحتاجين وطالما لم يصدر منهم أذى للمسلمين فهم شركاء فيما نعيش فيه.

٦ ــ أن الرحمة في الدين الإسلامي لها ما يميزها ويجعلها منفردة عن أي رحمة تناولها بشر في أي زمان ومكان، ولا غرابة في ذلك. فالرحمة الإسلامية الذي أقرها وبينها وحث عليها، خالق البشر جميعًا، الرحمن الرحيم، الذي هو سبحانه وتعالى، أرحم على عباده من الوالد بولده ومن الأم بولدها، وهي الرحمة المتمثلة في شخص النبي ﷺ الذي أرسله المولى عز وجل رحمة للعالمين، فهو ﷺ رحمة للمسلمين، رحمة في حياته ورحمة بعد موته. رحمة لأمته في حياته ورحمة لهم في الآخرة بشفاعته لهم ﷺ.

٧ ــ أن للرحمة مستويات، فهي ذات مراتب ودرجات، ولها مستويات متفاوتات، قد يصل بعضها إلى أن يشعر الراحم بمثل مشاعر من يرحمه تمامًا، وتختلف دوائر الرحمة اتساعًا وضيقًا، فبعض الناس تتدفق في قلبه مشاعر الرحمة نحو الذين يحبهم من ولد أو أب أو أم أو زوج أو نحو ذلك، فإذا شاهد آلام الآخرين الذين لا صلة له بهم لم يشعر نحوهم بأية مشاركة لهم في آلامهم، بل قد يقابلها ببرود في مشاعره أو قسوة في قلبه) [١].

وليست هذه الرحمة هي المطالب بها المسلم بل المسلم مطالب بالرحمة لكل الناس لمن يستحق هذه الرحمة سواء كان قريبًا أو غيره، فالرحمة في الدين الإسلامي هي الرحمة بالإنسانية جميعًا، وقد حث النبي ﷺ على الرحمة العامة. قال

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها جـ٢صـ٦ .

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه للنبي ﷺ أكثرت يا رسول الله من ذكر الرحمة وإننا نتراحم فيما بيننا فقال عليه الصلاة والسلام: إنما أريـد بالرحمـة: الرحمـة بالكافة) أي الرحمة بالإنسانية عامة، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ**﴾ [(١)].

٨ ــ أن خلق الرحمة كباقي الأخلاقيات قابل للتهذيب والتقويم، والوصول بهذا الخلق إلى أعلى مرتبة، فالحث على التحلي بخلق الرحمة كمـا ورد فـي القـرآن الكريم وسنة النبي ﷺ هو تنمية وإحياء لها في القلب،ومن كان في قلبه قسوة وغلظة عالجة الإسلام ولم يدعه لنفسه الظالمة القاسية، بل ذم صاحب هذه القسوة والغلظة في مواطن كثيرة في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَـأْنِ لِلَّـذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُـوا كَالَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [(٢)]، وقـال ﷺ: " لا يُرحم من لا يَرحم" [(٣)]، وعلاج القاسية قلوبهم كما بينه النبي ﷺ في رواية الطبراني: " أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يشكو قسوة قلبه فقال له: أتحـب أن يلـين قلبك وتدرك حاجتك ؟ ارحم اليتيم، وامسح على رأسه، وأطعمه من طعامك، يلـن قلبك وتدرك حاجتك".

٩ ــ من روائع التوجيه الإسلامي الدعوة إلى الرحمة العامة لجميع مخلوقـات الله تعالى في هذا الكون، فالرحمة الإسلامية ليست مقتصرة على الرحمة الإنسانية بل شملت الحيوانات، فالشريعة الإسلامية تنهي عن تعذيب الحيوانات قبل أن تنهي عنه منظمات حقوق الحيوان، بل جعلت العـذاب في الآخرة لمن يقسو قلبه عليها،

---

(١) سورة سبأ الآية : ٢٨ .

(٢) سورة الحديد الآية ١٦ .

(٣) البخاري كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم جـ٤صـ ٥٣ .

ويعذبها، والجنة والنعيم الأخروي لمن يرحمها ويطعمها عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: عُذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذا هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض" (١). وروي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا يا رسول الله إن لنا في البهائم أجرًا ؟ فقال ﷺ في كل كبد رطبة أجر " (٢).

فما أعظم وأشمل هذا التشريع الإسلامي الذي شمل بتعاليمه كل هذه الأخلاقيات السامية الراقية المتحضرة، هذا الشمول الذي شمل الإنس والحيوانات والزروع وكل ما يستحق أن يرحم في الكون.

وأسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في بحثى، وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) مسلم كتاب البر والصلة . باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي جـ٤صـ ٢٠٢٢ .

(٢) البخاري . كتاب الأدب . باب رحمة الناس والبهائم جـ٤صـ ٥٣ .

المراجع

١ ــ القرآن الكريم.

٢ ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

أولاً: كتب التفسير:

٣ ــ تفسير ابن كثير ــ طبعة دار الشعب.

٤ ــ النكت والعيون / الماوردي، راجعــه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م.

٥ ــ في ظلال القرآن سيد قطب ــ طبعة دار الشروق.

٦ــ التفسير الكبير/الفخر الرازي، طبعة دار إحياء التراث العربي.

٧ ــ روح المعاني للألوسي ــ طبعة درا الفكر.

٨ ــ الكشاف للزمخشري ــ طبعة شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي.

٩ ــ إرشاد العقل السليم لأبي السعود ــ طبعة دار إحياء التــراث الإســلامي، ومكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

ثانيًا: كتب الحديث:

١٠ ــ صحيح البخاري للإمام البخاري ــ طبعة دار الفكر.

١١ ــ صحيح مسلم للإمام مسلم ــ طبعة دار إحياء الكتب العربية، وطبعة دار الحديث.

١٢ ــ سنن أبي داود ــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميــد ــ طبعــة دار الفكر ــ بيروت، وطبعة دار الكتب العلمية.

١٣ ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل ــ طبعة دار صــادر ــ بيــروت وطبعــة المكتب الإسلامي، وطبعة الموسوعة الحديثة مسند الإمام أحمد ــ تحقيــق شــعيب

الأرنؤوط، عادل مرشد، عامر غضبان ــ مؤسسة الرسالة.

١٤ ــ سنن الترمذي ــ طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت وطبعة دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

١٥ ــ جامع الترمذي ــ طبعة شركة بيت الأفكار الدولية.

١٦ ــ سنن النسائي ــ طبعة دار البشار الإسلامية وطبعة مكتب المطبوعات الإسلامية ــ حلب.

١٧ ــ المعجم الأوسط للطبراني.

١٨ ــ السلسلة الصحيحة للألباني ــ طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ــ الرياض.

١٩ ــ صحيح ابن حبان ــ طبعة دار الفكر.

٢٠ ــ المعجم الكبير للطبراني.

٢١ ــ سنن ابن ماجة ــ طبعة دار إحياء الكتب العربية.

٢٢ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمي ــ طبعة دار الريان للتراث ــ القاهرة، وطبعة دار الكتب العلمية ــ تحقيق محمد عبد القادر عطا.

٢٣ ــ سنن الدارمي ــ طبعة دار الكتب العلمية.

٢٤ ــ الأدب المفرد للبخاري.

٢٥ ــ السنن الكبرى للبيهقي ــ طبعة ــ تحقيق محمد عبد القادر ــ طبعة دار الباز ــ مكة المكرمة، طبعة دار الحديث ــ القاهرة.

ثالثًا: كتب اللغة:

٢٦ ــ لسان العرب لابن منظور ــ طبعة دار المعارف.

٢٧ ــ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ــ تحقيق محمد سيد كيلاني ــ طبعة دار المعرفة ــ بيروت.

رابعًا: كتب عامة:

٢٨ــ تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ــ طبعة مكتبة الثقافة الدينية.

٢٩ ــ روح الإسلام لمحمد عطية الإبراشي.

٣٠ ــ إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ــ طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت وطبعة دار القلم ــ بيروت ــ لبنان.

٣١ ــ المجتمع الإنساني في ظل الإسلام.

٣٢ ــ أساس البلاغة للزمخشري ــ طبعة دار الشعب.

٣٣ ــ الحكم لابن عطاء السكندري ــ طبعة مكتبة الجندي.

٣٤ ــ المجتمع الإنساني في ظل الإسلام الإمام محمد أبو زهرة ــ طبعة دار الفكر العربي.

٣٥ ــ الأخلاق الإسلامية حسن الشرقاوي.

٣٦ ــ التسامح في الفكر الإسلامي د/ جعفر عبد السلام ــ رابطة الجامعات الإسلامية. ط جامعة الأزهر.

٣٧ ــ المستشرقون د/ زكريا هاشم.

٣٨ ــ قبس من أخلاق القرآن الكريم. د / مهجة غالب عبد الرحمن / مكتبة السلام ــ القاهرة. ط الأولى ١٩٩٤ م.

٣٩ــ الأخلاق أحمد أمين ــ طبعة دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٤٠ ــ أسس الفلسفة توفيق الطويل ــ طبعة دار النهضة العربية ط خامسة.

٤١ ــ مختصر الشمائل المحمدية للترمذي ــ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ــ طبعة المكتبة الإسلامية عمان ــ الأردن.

٤٢ ــ التسامح الإسلامي مع غير المسلمين تأليف / أحمد على خضر ــ طبعة أولى ٢٠١٠م.

٤٣ ــ الوصية بالوالدين د/ الحسيني أبو فرحة (الكتاب المقرر على الكليات الحديثة ضمن مجموعة من الموضوعات [الصدق ــ الكذب ــ العلم ــ المرأة ــ عمليات التجميل]).

٤٤ ــ موسوعة الأسماء الحسنى د/ الشرباصي.

٤٥ ــ خلق المسلم د/ مصطفى مراد ــ طبعة دار الفجر للتراث.

٤٦ ــ العبر للذهبي.

٤٧ ــ إسلامنا للشيخ الأستاذ سيد سابق ــ طبعة دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ لبنان.

٤٨ ــ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض حققه أحمد فريد المزيدي ــ طبعة المكتبة التوفيقية.

٤٩ ــ الأخلاق الإسلامية وأسسها / عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ــ طبعة دار القلم ــ دمشق.

٥٠ ــ مختارات من سماحة الإسلام د/ أحمد الحوفي ــ طبعة نهضة مصر للطباعة والنشر. القاهرة.

٥١ ــ سيرة ابن هشام ــ طبعة دار الجيل.

٥٢ ــ دستور الأخلاق في القرآن د/ محمد عبد الله دراز ــ طبعة مؤسسة الرسالة.

٥٣ ــ نهج البلاغة من كلام سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه شرح الشيخ الأستاذ محمد عبده. طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة.. ١٨٩
الباب الأول: الأخلاق فى الإسلام ١٩١
الفصل الأول: تعريف الأخلاق. ١٩١
الفصل الثانى: الوسائل التى تساعد فى تهذيب الأخلاق. ١٩٣
١ ــ الوعظ والإرشاد. ١٩٣
٢ ــ القدوة الحسنة. ١٩٦
٣ ــ المجاهدة والرياضة. ١٩٨
٤ ــ صحبة الأخيار والصالحين. ١٩٩
٥ ــ الثواب والعقاب. ٢٠٣
الفصل الثالث: ما جاء فى فضل حسن الخلق فى القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ. .. ٢٠٥
١ ــ آيات فى فضل حسن الخلق.. ٢٠٥
٢ ــ الأحاديث الواردة عن النبى ﷺ فى فضل حسن الخلق.................... ٢٠٨
الفصل الرابع: علامات حسن الخلق وأهم سمات وخصائص الأخلاق
فى الإسلام. ٢١١
الباب الثانى: الرحمة فى الإسلام.. ٢١٩
الفصل الأول: تعريف الرحمة. ٢١٩
الفصل الثانى: رحمة الله تعالى بخلقه. ٢٢١
آيات فى الرحمة.. ٢٢١
أحاديث فى الرحمة. ٢٢٣
من صور الرحمة:.. ٢٢٦

أ ـــ الرحمة بالوالدين. ٢٢٩
ب ـــ مغفرة الذنوب. ٢٣٢
جـــ ـــ رحمة الله تعالى بإنزال القرآن الكريم.......................... ٢٣٦
د ـــ رحمة الله تعالى بعباده أن خلق لهم من أنفسهم أزواجًا ليسكنوا إليهم. ٢٣٧
هـــ ـــ رحمة الله تعالى بعباده فى التشريع: ٢٣٧
١ ـــ فى القصاص.. ٢٣٨
٢ ـــ فى الجهاد... ٢٣٩
٣ ـــ فى الدعاء.. ٢٤٠
و ـــ رحمة الله تعالى بأن جعل المؤمن رحيم بأخيه المؤمن.................. ٢٤١
ز ـــ التواصى بالمرحمة... ٢٤٣
الفصل الثالث: رحمة رسول الله ﷺ. ٢٤٥
أولاً: حديث القرآن الكريم عن رحمة النبى ﷺ: ٢٤٥
١ ـــ حسن خلقه ومعاملته للناس بعض أخلاقه ﷺ............................ ٢٤٥
٢ ـــ قبول توبة المذنب مرتبط بحسن الأدب مع النبى ﷺ واستغفار النبى ﷺ له...٢٤٦
٣ ـــ وصفه ﷺ بالرؤوف الرحيم. ٢٥٠
ثانيًا: الأحاديث الواردة فى كمال رحمتهﷺ بأمته: ٢٥١
أ ـــ رحمته ﷺ بالصغار. ٢٥١
ب ـــ رحمته ﷺ بزوجاته رضى الله عنهن.. ٢٥٣
جـــ ـــ رحمته ﷺ بالبنات والنساء.. ٢٥٤
د ـــ رحمته ﷺ بالضعفاء واليتيم والأرملة والمسكين والخدم. ٢٥٥
علاج قسوة القلب. ٢٥٧
الحث على التراحم.. ٢٥٨
هـــ ـــ رحمته ﷺ بالحث على صلة الرحم. ٢٥٩

و ـ الحث على إكرام الجار والإحسان إليه. ٢٦٢
الفصل الرابع: قسوة القلب. ٢٦٥
١ ـ ذم القرآن الكريم لقساة القلوب. ٢٦٥
أ ـ تصوير القلوب القاسية بأنها أشد من الصخور الصماء. ٢٦٥
ب ـ نقض الميثاق يصيب القلب بالقسوة. ٢٦٦
جـ ـ ذكر الله تعالى يورث خشوع القلب وطول الأمل يورث قسوة القلب. .. ٢٦٧
د ـ عدم الاتعاظ بالابتلاء يورث قسوة القلب. ٢٦٨
٢ ـ ذم السنة النبوية المطهرة لقساة القلوب. ٢٦٩
الفصل الخامس: الرحمة مع غير المسلمين من منظور إسلامى. ٢٧١
١ ـ الإسلام يدعو إلى الإيمان بجميع الأنبياء. ٢٧٤
٢ ـ النهى عن الإكراه فى الدين. ٢٧٤
٣ ـ النهى عن العصبية بين الأنبياء. ٢٧٥
٤ ـ حرية أهل الكتاب فى إقامة شعائرهم. ٢٧٥
٥ ـ مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن. ٢٧٦
٦ ـ تقرير مبدأ حفظ الكرامة الإنسانية لجميع البشر. ٢٧٧
٧ ـ معاملة غير المسلمين أساسها البر وحفظ الحقوق. ٢٧٨
٨ ـ التسامح والسلام مع غير المسلمين مطلب إسلامى. ٢٧٨
٩ـ المساواة مع غير المسلمين فى المعاملات العامة. ٢٧٩
١٠ ـ دعوة غير المسلمين إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة. ٢٨٠
١١ ـ حق المشرك أن يجار إذا لجأ للمسلم، والنهى عن نقض العهود
والمواثيق معهم ٢٨١
١٢ ـ جواز الصدقة لهم. ٢٨٢
١٣ ـ إكرام من يأتى منهم إلى دار الإسلام مع حفظ أموالهم وعدم ظلمهم.... ٢٨٣

١٤ ــ وصيتهﷺ بأهل الكتاب وخاصة أهل مصر ٢٨٤
الفصل السادس: شهادات من غير المسلمين بعظمة رحمة الإسلام............ ٢٨٥
الخاتمة.. ٢٨٧
المراجع. ٢٩١
فهرس الموضوعات ٢٩٥

❋ ❋ ❋